

أَفَاظُ الطَّبِيعَةِ فِي التَّعْبِيرِ الْفَاطِمِيِّ

« دَرَاةٌ فِي الْبُعْدَيْنِ الدَّلَالِيِّ وَالْعَقْدِيِّ »

د. أَحْمَدُ مَوْفَّقُ مَهْدِي (*)

* تدرّيسي في كُليَّةِ التَّرْبِيَةِ لِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ - متخصّص في فلسفة اللغة العربية وآدابها -
جَامِعَةُ الْبَصْرَةِ.

الملخص

دلالة ألفاظ الطبيعة في التعبير الفاطمي انصفت بمرونتها، لما لها من ظلال إيحائية توشحت بها وأعطتها قيماً إضافية، فهذه الدلالات في الألفاظ الطبيعية في التعبير الفاطمي التقّت مع بنيتها الصوتية في تصوير المشاهد بدقة متناهية، فضلاً عن الألفاظ الطبيعية المتعلقة بالطبيعة الحية جاءت تُحاكي أحداثاً سيقّت في معرض العبرة للإنسان، فجاءت بها السيدة الزهراء عليها السلام بأسلوب يُراد منه حث المؤمنين على الهداية، وانداز المخالفين لوصية أبيها المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، والغاصبين لحقها، وحق بعلها، فضلاً عن المنافقين، وتوبيخهم، وألفاظ الطبيعة بشقيها الجامدة، والحية أخذت حيزاً ليس بالقليل في التعبير الفاطمي، فهي زخرت بقيم دلالية متنوعة، وأشربها التعبير الفاطمي عواطف وأحاسيس نبعت من البعد الفني، وطبيعة التعبير الفاطمي.

الكلمات المفتاحية: الألفاظ الطبيعية، التعبير، فاطمة الزهراء عليها السلام.

The natural utterances in the Fatimid expression A study in the semantic and doctrinal dimensions

Dr. Ahmed Muwaffaq Mahdi

Lecturer at the College of Education for Human Sciences / University of Basra
Specializing in the philosophy of Arabic language and literature

Abstracts

The significance of natural utterances in Fatimid expression is characterized by its flexibility, due to its suggestive shadows that adorned it and gave it additional values. These significances in the natural utterances in Fatimid expression met with its phonetic structure in portraying scenes with infinite precision. In addition to the natural utterances related to living nature, they came to simulate events that will pass in the course of the lesson for man. Lady Zahra (peace be upon her) came with them in a style intended to urge believers to guidance, and warn those who oppose the will of her father Muhammad (may Allah bless him and his family), and those who usurp her right, and the right of her husband, as well as the hypocrites, and rebuke them. The natural utterances, in its inanimate and living aspects, took a not insignificant space in Fatimid expression. It was rich in varied semantic values, and Fatimid expression imbued it with emotions and feelings that stemmed from the artistic dimension, and the nature of Fatimid expression.

Keywords: natural utterances, expression, Fatima Zahra (peace be upon her).

مقدمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله جلّت أسماؤه، وسمت أوصافه، الذي علّم الإنسان، وشرّف العربيّة بنزول القرآن، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على النّبّي الأمين الذي فتح أبواب العلم والرّحمة للعالمين، وعلى غصن دوحته، وأوّل من صدّق برسالته، وعلى الصّديقة الزّهراء البتول، وعلى الدّرية الطّاهرة، من ولدهم أجمعين.

أمّا بعد...

الخطابُ الفاطميّ من الخطابات الخالدة، والبحث فيه من أشرف النعم التي يمكن أن يطويها الباحث ويضمها إلى سني عمره؛ لأنّ كلام السّيدة الزّهراء عليها السلام ميداناً خصباً للدراسة، وفضاءً رحباً للتنقيب في مراميه، لما يحويه من عمق معرفيٍّ وجماليٍّ، بدءاً بلغتها التي أبهرت كلّ ذي بيان، وأسلوبها المتدفق بمعان تحرك السّاكّن في كلّ زمان ومكان، فضلاً عن سعة الأفق الدّلاليّ في ألفاظ التّعبير الفاطميّ بما يُذهل العقول النّيرة، بعظيم إعجازه، وجميل نسجه، وعمق معانيه، وفيه من الإعجاز والبيان ما يسمح بتعدد الدّراسة فيه، إذ يمكن أن تضاف إلى غيرها من الدّراسات الفاطميّة.

ولمّا كان التّعبير الفاطميّ تعبيراً فنياً مقصوداً تخصصت الدّراسة في ألفاظ التّعبير الفاطميّ في الطبيعة بشقيها الجامدة، والحيّة، وهذا ممّا شكّل لدى الباحث النّظر والتأمّل في الكون وعناصره التي تتسم بالإبداع، والدّقة المتناهية، فبدت آيات ودلائل يمكنُ بوساطتها معرفة مواطن الجلال والجمال في التّعبير الفاطميّ، فاتخذت منهجاً وصفيّاً تحليليّاً، ينطلق من المبتنيات الدّلاليّة والعقدية في كتب اللغة معتمداً لغة النّص الفاطميّ، مبيّناً سماته الفنيّة والعقدية.

وجيء بهذه الدراسة لتصب في رافد من الروافد الدّراسات الفاطميّة التي تُعنى بالألفاظ، وقد صنفت الدّراسة إلى مبحثين سبقهما مقدمة، وتمهيد، وتلاهما خاتمة بأهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثمّ أعقبها ثبت المصادر والمراجع.

وأما التّمهيد فقد تناولت فيه مفهوم الطّبيعة، واشتمل المبحث الأوّل على الطّبيعة الجامدة، إذ جاء فيه ثلاثة محاور: الأوّل: الطّبيعة السّماوية، والثاني:

الطَّبِيعَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، والثَّالِثُ: الطَّبِيعَةُ الصَّنَاعِيَّةُ، وَعَرَضْتُ فِي الْمُبْحَثِ الثَّانِي: الطَّبِيعَةُ الْحَيَّةُ، إِذْ جَاءَ فِيهِ ثَلَاثَةُ مَحَاوِرٍ أَيْضًا: الْأَوَّلُ: الْإِنْسَانُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَالثَّانِي: الْحَيَوَانُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، وَالثَّالِثُ: النَّبَاتُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ.

وختامًا لا أزعَمُ أَنَّ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ خَالِيَةً مِنَ الْأَخْطَاءِ، أَوْ الْهَفَوَاتِ، فَهِيَ عَمَلٌ بَشَرِيٌّ مِيزَتْهُ النَّقْصُ وَالخَلَلُ، وَلَكِنِّي حَاوَلْتُ جَهْدِي وَبَدَلْتُ مَا اسْتَطَعْتُ فِي سَبِيلِ وَصْلِ الْبَحْثِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، فَإِنْ أَصَبْتُ فَبِفَضْلِ اللَّهِ وَمَنِّهِ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَارْجُو أَنْ أَكُونَ مَتَعَلِّمًا عَلَى سَبِيلِ النَّجَاةِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ...

التَّمْهِيدُ

مَفْهُومُ الطَّبِيعَةِ فِي اللُّغَةِ وَالْإِصْطِلَاحِ

أَوَّلًا: الطَّبِيعَةُ لُغَةً:

تَكَادُ تَتَّفَقُ الْمَعْجَمَاتُ اللُّغَوِيَّةُ عَلَى مَعْنَى الطَّبِيعَةِ بِدَلَالَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ هِيَ: الْخَلِيقَةُ وَالسَّجِيَّةُ الَّتِي جُبِلَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ^[١]، وَهِيَ فِعْلِيَّةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ^[٢]، نَحْوُ: (جَرِيحٌ، وَقَتِيلٌ) أَيْ الْمَطْبُوعَةُ وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ اسْتِقَاقُهَا مِنْ (طَبَعَ) الْمَبْنِي لِلْمَجْهُولِ، وَيَأْتِي الطَّبَعُ بِمَعْنَى الْفِطْرَةِ وَالنَّشْأَةِ^[٣]، وَبِمَعْنَى ابْتِدَاءِ صَنْعَةِ الشَّيْءِ تَقُولُ: طَبَعْتُ اللَّبْنَ طَبْعًا، وَطَبَعْتُ السِّيفَ طَبْعًا^[٤]، وَقَدْ يُعْبَرُ عَنِ الطَّبَعِ بِالضَّرْبِ^[٥].

وَالطَّبَعُ الْخَتْمُ: طَبَعْتُ عَلَى الشَّيْءِ خَتْمَتَهُ^[٦]، وَالخَتْمُ التَّأثيرُ فِي الطِّينِ وَمَا

[١] ينظر: العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، مادة (طبع): ٣٧٢/٧، ومقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد فارس بن زكريا، مادة (طبع): ٢٤٥/٥، والتعريفات، علي بن محمد الجرجاني: ١٥٨، ومعجم مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي: ٦ / ٤١٩، والمعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، وعبد الحليم منتصر، وعطية الصوالحي، ومحمد خلف الله أحمد: ٨٢٣/٢.

[٢] ينظر: أبنية الصرف في كتاب سيبويه: ٢٠٣.

[٣] ينظر: معجم متن اللغة، أحمد رضا، مادة (طبع): ٥٨١/٣.

[٤] ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، مادة (طبع): ١٧٥/٤.

[٥] ينظر: تاج العروس، محي الدين الحسيني الزبيدي، مادة (طبع): ١٧ / ٦٤٨ - ٦٤٩.

[٦] ينظر: لسان العرب، ابن منظور مادة (طبع): ٥٤١/١٢.



أشبهه، وهي كذا في القرآن الكريم: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^[١]، وقال تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^[٢].

ثَانِيًا: الطَّبِيعَةُ اصطلاحًا: جاء هذا المصطلح في علوم عدة منها:

١. مَفْهُومُ الطَّبِيعَةِ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ:

هو: "جملة الموجودات المادية بقوانينها"^[٣]، وهي في الفلسفة اليونانية تعني (الوجود المطلق)، أو العالم أو الكون الشامل لجميع المخلوقات المادية مرتبطة بقوانين وجدت بوجودها تتمثل في الأجرام السابحة فوق رؤوسنا، والأجسام المضطربة من حولنا^[٤]، وما ترتب على ذلك يرجع الظواهر إلى الطبيعة ويستبعد أي مؤثر خارجي، وأصحاب هذا المذهب هم الدهريون، أو الطبيعيون المنكرون وجود الخالق، واعتقادهم بعبادة الطبائع الأربع الحرارة، والبرودة، واليبوسة، والرطوبة، وقيل الماء، والهواء، والنار، والتراب^[٥].

والطبيعة تنقسم عندهم إلى أحياء وجمادات، والأحياء أقسام عدة مختلفة الماهية موزعة في ثلاث ممالك مملكة النبات، ومملكة الحيوان، ومملكة الإنسان الذي وإن كان حيواناً إلا أنه كان حيواناً ناطقاً.

وفي الفلسفة الإسلامية دخلت العقيدة في مفهوم الطبيعة لديهم، فالمعتزلة يرون أن الأجسام تتضمن شكلين وجوديين (كونياً عيانياً) وأن الانتقال من شكل إلى آخر لا يتم إلا بتدخل من الله (جل اسمه) وأن الوجود التحويلي لا ينفصل عن الوجود الألهي^[٦].

ويلتقي المعنى الاصطلاحي عند المناطقة الذين ذهبوا إلى أن الطبيعة نسبة إلى الطبع بالمعنى اللغوي الذي ذكرنا المتمثل بالسجية، أو الخلفية التي تميز

[١] سورة النحل: ١٠٨.

[٢] سورة البقرة: ٧.

[٣] الطبيعة وما بعد الطبيعة، الدكتور يوسف كرم: ٨.

[٤] ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا: ١٧/٢.

[٥] ينظر: المصدر نفسه: ١٧/٢.

[٦] ينظر: تاريخية المعرفة منذ الاغريق حتى ابن رشد، مجيد محمود مطلب: ١٢٦.

الإنسان وتحدد صفته، نحو قول رسول الله ﷺ: «يُطْعَمُ الْمُؤْمِنُ عَلَى كُلِّ خُلُقٍ، إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ»^[١].

ومن الجدير بالذكر أن مصطلح الطَّيْبَةِ بما تعنيه «كلُّ ما يقعُ خارجَ الذاتِ من الموجودات، وظواهر سماويةٍ ليست من نتاج الجهد، أو الفكر الانساني»^[٢] ظهر أولاً عند الفلاسفة، فكان محورياً أساسياً للفلسفة.

٢. مَفْهُومُ الطَّيْبَةِ فِي مِيدَانِ الْأَدَبِ:

لم تتخذ مفهومًا موحدًا عند الأدباء وهي تعتمد في صورتها عند الأديب كما هي في الفلسفة الفنيّة، أو ما يسمى (محاكاة الطَّيْبَةِ) وكأنّها كائن حي^[٣]، وقد يُسمى بالوصف^[٤] مع العلم أن هذا الأمر ليس ببعيد في القرآن الكريم كما سيأتي هنا، والطَّيْبَةُ فِي العلوم البحتة تعني المادة وعلم الطَّيْبَةِ (الفيزياء) الذي يعني بالمادة من ناحية القوة والطَّاقَات والاهتزازات، والحالات التي تلازمها بغير النَّظَر إلى تركيبها الكيميائي، أو إلى تبدلها ما خلا الانحلال الكهربائي، ويشمل أبواب الحرارة، والصَّوت، والكهرباء، والمغناطيسيّة^[٥].

٣. مَفْهُومُ الطَّيْبَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

لم يأت هذا اللفظ في القرآن الكريم ما خلا الجذر (طَبَعَ) ورد فيه بصيغ مختلفة، وهو لم يخرج عن دلالة الختم كما ذكرنا، ودلالة الضرب، والانغلاق، والتَّغْطِيَّة، نحو قوله تعالى:

١. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^[٦].

٢. ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^[٧].

[١] الدرّ الممتور: ٣/ ٢٩٠.

[٢] ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم دراسة لغوية، حولة عبيد خلف الدليمي: ١٣.

[٣] ينظر: المعجم الأدبي، جبور عبد النور: ١٦٤.

[٤] ينظر: تطور الشعر العربي الحديث في العراق، علي عباس علوان: ١٣٣.

[٥] ينظر: ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم دراسة لغوية، حولة عبيد خلف الدليمي: ١٣.

[٦] سورة الأعراف: ١٠٠.

[٧] سورة النساء: ١٥٥.



٣. ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾^[١].

٤. ﴿وَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^[٢].

الطَّبِيعَةُ، وَأَقْسَامُهَا: إذا كان الإنسان يسطبغ شتى، ويتأثر بعوامل عدّة في حياته، فإنّ البيئة الطَّبِيعِيَّة في الصّدارة منها، فالطَّبِيعَةُ ذات أثر واضح في الإنسان يتجلّى، ويصدق في مفرداتها؛ لأنّ اللغة وسيلة التّفاهم، والإخبار والذين يعيشون في بيئة واحدة يتواضعون على كلمات خاصة نابعة من طبيعتهم، ويطلقون أسماء معينة على مسميات يعرفونها، فنجد ألفاظ الطَّبِيعَةِ الصّحراوية تختلف عن ألفاظ الطَّبِيعَةِ الرّيفيّة، وهي الأخرى تختلف عن ألفاظ الطَّبِيعَةِ المدنيّة^[٣]، أمّا أقسام الطَّبِيعَةِ فقد اختلف دارسوها في تحديد أجزائها، وهي على العموم تشمل عالمين كما ذكرنا عالم الآثار العلويّة، وعالم الآثار السّفليّة فما فوق الأرض يعني الهواء، والكائنات الجوية وما على وجه الأرض، نحو: الحجارة، والجبل، وما في باطن الأرض، نحو: المعادن وما يقابلها السّماء والعالم^[٤]، وهي تقسم على أجسام، وأعراض، فالطَّبِيعَةُ انشقت شقين رئيسين حيّاً، وجامداً^[٥]، بقي أن نعرف ما يدخل ضمن كلّ منهما:

القسم الأوّل: الطَّبِيعَةُ الجامدة: وهي ما اشتملت على ذكر عناصرها وظواهرها، فالعناصر: ما اشتمل عليه هذا الكون من أرض، وسماء، وبحار، وأنهار... الخ، والظواهر: ما ارتبط بتلك العناصر ارتباطاً سببياً، نحو: السّحاب، والمطر، والليل، والنّهار... الخ، ويرتبط بهذا القسم ما يسمى بـ(الطَّبِيعَةُ الصّناعيّة)، وهي كلّ ما كان من صنع الإنسان، نحو: القرى، والبيوت، والآبار، وغيرها.

القسم الثّاني: الطَّبِيعَةُ الحيّة: وهي ما اشتملت على ذكر الإنسان، والحيوان، والنّبات، وما يتعلق بهم.

[١] سورة الأعراف: ١٠١.

[٢] سورة التوبة: ٨٧.

[٣] ينظر: أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي: ١٤.

[٤] ينظر: معجم المصنفين، محمود حسن التونكي: ١٨٤.

[٥] الطبيعة وما بعد الطبيعة: ٥١.

المَبْحَثُ الْأَوَّلُ: الطَّبِيعَةُ الْجَامِدَةُ

لقد تجلّى ذكر الطَّبِيعَةِ الجَامِدَةِ في تعبير السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ على أروع الصُّورِ الفَنِيَّةِ، والتَّعْبِيرَاتِ المَوْحِيَّةِ، فَالطَّبِيعَةُ تَحْزَنُ، وَتَتَأَلَّمُ، وَتَتَفَاعَلُ مَعَ الْأَحْدَاثِ وَالوَقَائِعِ، فَكَأَنَّهَا حَيَّةٌ مُدْرِكَةٌ، فَضْلاً عَنِ أَنَّهَا تُشْعَرُ بِالقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ الَّتِي تَوْقَفُ الْإِنْسَانَ مِنْ سُبَاتِهِ لِتُدَلِّهِ عَلَى خَالِقِهَا وَجَمِيلِ مَصُورِهَا، وَتُقَسِّمُ إِلَى قَسْمَيْنِ هُمَا:

١. الطَّبِيعَةُ السَّمَاوِيَّةُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا:

أ. عَنَّا صِرْهَا:

١. الشَّمْسُ: هِيَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَجْرَامِ السَّمَاوِيَّةِ، وَهِيَ كَالْمَلِكِ بَيْنَ الْكَوَاكِبِ، وَسَائِرِ الْكَوَاكِبِ كَالْأَعْوَانِ وَالْجُنُودِ، وَمَنْ لُطِفَ اللهُ تَعَالَى أَنْ جَعَلَهَا فِي وَسْطِ الْكَوَاكِبِ؛ لِتَبْقَى الطَّبَائِعُ وَالْمَطْبُوعَاتُ بِحَرَكَتِهَا عَلَى حُدُودِ الْعَيْتَادِيِّ^[١].

ولقد ورد ذكرها عند السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي عِدَّةٍ مِنْ مَوَاضِعٍ حَامِلَةٍ الْكَثِيرِ مِنَ الدَّلَالَاتِ بِحَسَبِ السِّيَاقِ الَّذِي وُضِعَتْ فِيهِ فَمِنْ ذَلِكَ:

✽ تَفَاعَلَهَا مَعَ الْحُزَنِ الَّذِي أَصَابَ الْأُمَّةَ بِفَقْدِهَا نَبِيَّهَا الْأَعْظَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ كُشِفَتْ، فَكَأَنَّهَا قَدْ ارْتَدَّتْ أَسْوَادَ مَعْلَنَةٍ بِذَلِكَ الْحَدَادِ، إِذْ تَقُولُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «وَكُشِفَتْ الشَّمْسُ... لِمُصِيبَتِهِ»^[٢].

✽ اسْتِدْلَالَ السَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِهَا فِي وَضُوحِ مَعْرِفَتِهَا عِنْدَ الْأُمَّةِ، وَأَنَّهَا الْخَيْرُ وَالْعَطَاءُ الْكَثِيرُ؛ وَلِذَا سُمِّيَتْ بِالْكَوْثَرِ^[٣]، وَأَنَّهَا الرَّحْمَةُ الْمَهْدَاةُ مِنَ الْخَالِقِ تَعَالَى إِلَى الْبَشَرِيَّةِ جَمْعَاءَ، وَلَوْلَاهَا لِعَاشَتْ فِي ظِلْمَةٍ حَالِكَةٍ، إِذْ تَقُولُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: «بَلَى، قَدْ تَجَلَّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضَّاحِيَةِ أَنِّي ابْنَتُهُ»^[٤].

✽ دَلَالَتِهَا عَلَى الْحَرَارَةِ الشَّدِيدَةِ وَقَرْبِهَا مِنَ الْخَلَائِقِ فِي سَاحَةِ الْمَحْشَرِ

[١] ينظر: عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد بن محمد بن محمود الكوفي القزويني: ٢٧.

[٢] الإحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي: ٢٧٠/١.

[٣] ينظر: تفسير القرآن الكريم، السيد عبدالله شبر: ٥٦٧.

[٤] الإحتجاج: ٢٦٧/١.



وزيادة حرارتها، فيصاب النَّاسُ بالحر والعطش الشديدين، ولذا سُمِّيَ ذلك اليوم، بـ(يوم العطش الاكبر)، تقولُ عَلَيْهَا: ”اللهمَّ إِذَا دَنَّتِ الشَّمْسُ مِنَ الجَمَاجِمِ، فَكَانَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الجَمَاجِمِ مِقْدَارَ مِيلٍ، وَزِيدَ فِي حَرِّهَا حَرٌّ عَشْرَ سِنِينَ“^[١].

2. الْقَمَرُ: ورد ذكره ملازماً ذكر (الشمس) إذ خُصِفَ لفقد النبي الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما كُسِفَتِ الشمس، وعبرتُ عنهما بالكسوف من باب التَّغْلِيْبِ، إذ تقولُ عَلَيْهَا: ”وَكُسِفَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ“^[٢].

3. النُّجُومُ: نَجْمَ الشَّيْءِ، طلع وظَهَرَ، وكل ما طلع وبان سُمِّيَ نَجْمًا^[٣]، والنُّجُومُ، هي الأجرام السماوية، التي تُشَاهَدُ ليلاً في جوِّ السَّمَاءِ، ذَكَرَتْهَا عَلَيْهَا وهي حاملة صفة الانتثار؛ نتيجة لفقد سيد البشرية أبوها محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ تقولُ عَلَيْهَا: ”وَانْتَشَرَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ“^[٤]، والتَّشْرُّ هو رمي الشيء متفرقاً، وتأخذ السيدة الزهراء عَلَيْهَا هذا المعنى لـ(النجم) وهو الطلوع والظهور، لتوظفه لصورة خروج صاحب الفتنة والإشراك ومروجهما (الشيطان) عليه لعائن الله، إذ تقولُ عَلَيْهَا: ”﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾“^[٥]، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطَانِ“^[٦]، وَفُسِّرَ (قرن الشيطان) بقوته، أو متابعيه، وامته^[٧].

ب. ظَوَاهِرُهَا:

١. الرِّيحُ: الرِّيحُ هو: نسيم الهواء، وجمعها رِيَّاحٌ وأرْيَاحٌ، وقد تُجْمَعُ أرواحٌ؛ لأنَّ أصلها الواو، وإنما جاءت بالياء؛ لانكسار ما قبلها، وإذا رجعوا إلى الفتح عادت إلى الواو، كقولنا: أرواح الماء، وتروحتُ بالمروحة^[٨]، وتحملُ الرِّيحُ في

[١] مسند فاطمة الزهراء عَلَيْهَا، جمعه العلامة السيد حسين شيخ الاسلامي التويسركاني: ٤٠٧.

[٢] الإحتجاج: ٢٧٠/١.

[٣] ينظر: لسان العرب، مادة (نجم): ٦٢/١٤.

[٤] الإحتجاج: ٢٧٠/١.

[٥] سورة المائدة: ٦٤.

[٦] الإحتجاج: ٢٦٢/١.

[٧] ينظر: الزهراء وخطبة فدك، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي: ٨٤.

[٨] ينظر: الصحاح، مادة (روح): ٤٥٥.

تعبير السيدة الزهراء عليها السلام معينين:

أ. فقد تحمل معنى الخَيْرِ والرَّحْمَةِ وتسمَّى حيثُذ بد(الرياح)؛ لأنَّ لفظ الرِّيحُ تكون بمعنى العَلْبَةِ والقُوَّة، وعكسها (الرياح)، لذا جاءت السيدة الزهراء عليها السلام بلفظ (الرياح) موصوفة بد(اللواقح)، وهي التي تُلْقِحُ الأشجار^[١]، فلو كانت شديدة قوِيَّة ما كانت لتلقح، تقول عليها السلام: «الحمدُ لله الذي بكلماته... جرتِ الرياحُ اللواقح»^[٢]، واستعمل معها الفعل (جری) وفيه معنى الطمأنينة والهدوء^[٣].

ب. وقد تحمل معنى القُوَّة والعذاب، وتسمَّى عندئذ بد(العواصف، والقواصف)^[٤]، وريحٌ عاصف، شديدة الهبوب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَالْعَاصِفَاتُ عَصْفًا﴾^[٥]، أي الرِّيحُ إذا اشتدَّ هبوبها، وريحٌ قاصفٌ، شديدة تُكسر ما مرَّت به من الشجر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾^[٦]، وقيل: إنَّ «الرياح ثمان: أربع عذاب، وأربع رحمة، فأما الرَّحمة، فالتَّاشرات، والدَّاريات، والمرسلات، والمبشرات، وأما العذاب، فالعاصف»^[٧]، والقاصف وهما في البحر، والصرصر^[٨] والعقيم وهما في البر^[٩]، وفي هذا السيدة الزهراء عليها السلام في دعائها على أعدائها: «سلط عليهم العواصف والقواصف أبداً حتى تُصلِّيهم النار»^[١٠].

٢. السَّحَابُ: جمع سَحَابَةٍ، وهي التي يكونُ عنها المطر، وسُمِّيَتْ بذلك؛

[١] ينظر: فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور عبدالمك المالك الثعالبي: ٣١٠.

[٢] مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ٤٠٦.

[٣] ينظر: لسان العرب، مادة (جرا): ٣١٠/٢.

[٤] ينظر: فقه اللغة وسر العربية: ٣٠٩.

[٥] سورة المرسلات: ٢.

[٦] سورة الإسراء: ٦٩.

[٧] ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسِرُّكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ سورة يونس: ٢٢.

[٨] ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ سورة الحاقة: ٦.

[٩] فقه اللغة وسر العربية: ٣٠٩.

[١٠] مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ٤٠٦.



لانسحابها في الهواء، والجمع سحائبٌ وسحابٌ وسُحُبٌ^[١]، وقد وردت بلفظها في تعبيرها عليها، وذلك بقولها: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِكَلِمَاتِهِ... سَارَتْ فِي جَوْ السَّمَاءِ السَّحَابُ»^[٢].

وقد تطلق لفظ (الغمام) على السحاب إذ السياق يقتضيها، فمعنى الغمام، السحاب الذي لا فُرْجَةَ فيه، وهو الغيم الأبيض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾^[٣]، وإنما سُمِّيَ غماماً؛ لأنه يغُمُّ السماء، أي يسترها^[٤] تقولُ السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ عليها داعيةً رَبِّ الْعَالَمِينَ بِأَنْ يُظِلَّ الْمُؤْمِنِينَ بِالْغَمَامِ عِنْدَ اقْتِرَابِ الشَّمْسِ مِنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْمَحْشَرِ: «فَإِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَظِلَّنَا بِالْغَمَامِ»^[٥]، وقد يكون التعبير مجازياً، والمقصود به الرَّحْمَةُ وَالْمَغْفِرَةُ وَالرِّضْوَانُ، وَالتَّظْلِيلُ بِمَعْنَى سِتْرِ الذُّنُوبِ وَتَغْطِيَتِهَا.

3. الْمَطْرُ: الماء المنسكب من السحاب، والجمع، أمطار^[٦]، لم يرد في التعبير القرآني إلا في موضع العذاب فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾^[٧]، تقول عليها: «تَبَارَكْتَ يَا مُحْصِيَ قَطْرِ الْمَطْرِ»^[٨]، وقد يأتي التعبير عنه بلفظ (الطَّرْق) وهو ماء السماء الذي تبول فيه الإبل وتبعر^[٩]، في سياق تعبيرها عن فقر المشركين وذلتهم في الجاهلية تقول عليها: «تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتَاتُونَ الْقَدَّ وَالْوَرْقَ»^[١٠]، فكأنها قالت عليها الماء الذي كتتم تشربونه هو الماء المتجمع في المستنقعات والحفائر تدخلها الحيوانات، وتبول فيها الإبل،

[١] ينظر: لسان العرب، مادة (سحب): ٢٠٥/٦.

[٢] مسند فاطمة الزهراء عليها: ٤٠٦.

[٣] سورة الأعراف: ١٦٠.

[٤] ينظر: لسان العرب، مادة (غمم): ١٤٣/١٠.

[٥] مسند فاطمة الزهراء عليها: ٤٠٧.

[٦] ينظر: لسان العرب، مادة (مطر): ١٤٠/١٣.

[٧] سورة الشعراء: ١٧٣.

[٨] مسند فاطمة الزهراء عليها: ٤٠٦.

[٩] ينظر: لسان العرب، مادة (طرق): ١٧١/٨.

[١٠] الإحتجاج: ٢٦١/١.

مع العلم أن النفوس الشريفة تستقدر هذا الماء وتمجه، ولا ترضى به، ولكنه الجهل، والإحساس بالنقص، والخضوع للمذلة والهوان، كأنهم لم يعرفوا حفر الآبار، أو تفجير العيون، أو إيجاد القنوات تحت الأرض ولا تسأل عن مضاعفات هذه المياه وتلوثها بأنواع الجراثيم والميكروبات، وكان قوتكم وطعامكم من القدر وهو اللحم أو الجلد اليابس وأوراق الأشجار، فالأراضي الواسعة الشاسعة قاحلة جرداء، لا ضرع فيها ولا زرع ومفهوم الزراعة غير موجود عندكم^[١]، وبعد كل هذا «أَنْقَذَكُمْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ»^[٢]، فهو المنقذ الأعظم والمصلح الأكبر الذي أنقذ العباد من تلك الحياة التي كانت تشبه الجحيم، وأصلح البلاد من تلك المفسدات والويلات والمصائب وأحدث انقلاباً في العقائد والنفوس والأخلاق والعادات، ولم تتحقق أهدافه إلا «بَعْدَ اللَّتْيَا وَالتِّي»^[٣].

٢. الطَّبِيعَةُ الْأَرْضِيَّةُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا:

وتشمل الطَّبِيعَةُ الْحَقِيقِيَّةُ التي لم يتدخل الإنسان في إنشائها وتكوينها، والطَّبِيعَةُ الصَّنَاعِيَّةُ التي للإنسان يدٌ في تركيبها وتكوينها.

أ. الطَّبِيعَةُ الْحَقِيقِيَّةُ:

١. الْأَرْضُ: ورد ذكرها في تعبيرها عَلَيْهَا في محورين:

الأول: مرحلة التَّكْوِينِ، والإنشاء تقول عَلَيْهَا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ سَامِكِ السَّمَاءِ وَسَاطِحِ الْأَرْضِ»^[٤]، ومعنى السُّطُوحِ، الانبساط ومنه سَمِيَّ الْقَتِيلِ مَسْطُوحاً وَسَاطِحاً^[٥]، ثمَّ إِنَّهَا عَلَيْهَا تصفُ الْأَرْضَ بِأَنَّهَا قَدْ مَهَّدَتْ وَهَيَّأَتْ لخدمَةِ الْإِنْسَانِ، إِذْ تَقُولُ عَلَيْهَا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِكَلِمَاتِهِ قَامَتِ السَّمَاوَاتُ الشَّدَادِ، وَثُبَّتِ الْأَرْضُونَ الْمِهَادِ»^[٦]، الْمِهَادِ، الْفَرَاشِ، وَمَهَّدَتْ الْفَرَاشَ مَهْدًا، بَسَطَتْهُ، وَالْمُهْدَةُ مِنَ الْأَرْضِ مَا

[١] ينظر: فاطمة من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني: ٢٤٤.

[٢] الإحتجاج: ٢٦١/١.

[٣] الإحتجاج: ٢٦٢/١.

[٤] مسند فاطمة الزهراء عَلَيْهَا: ٤٠٩.

[٥] ينظر: لسان العرب، مادة (سطح): ٢٨٢/٦.

[٦] مسند فاطمة الزهراء عَلَيْهَا: ٤٠٦.



انخفض في سهولة واستواء، ومنه مهْدُ الصَّبِيِّ، موضعه الذي يهَيِّأُ له ويُوَطِّأُ لِنَامٍ فيه^[١]، وتعبيراً عن باطن الأرض وقعرها بـ(العَوْر) الذي يجري فيه الرياح والماء والنَّار، إذ تقولُ **عَلَيْهَا**: «ومُجْرِي الرياحِ والماءِ والنَّارِ من أغوارِ الأرضِ مُتَّصِعِدَاتٍ فِي الهَوَاءِ»^[٢].

الثاني: مرحلة ما بعد التكوين والانسباط: فنرى الأرض تحزن وترتدي السَّواد حُزناً وحداداً لفقد سيِّدِها الرَّسولِ الأعظمِ محمد (صلى الله عليه وآله)، إذ تقولُ **عَلَيْهَا**: «وأظلمتُ الأرضُ لغيبته»^[٣]، فمن الطبيعي أن تحزن وتظلم؛ لأنَّ الذي فُقِدَ هو الرَّسولُ الأعظم الذي كان نوراً تستضيء به الأرض ومن عليها وبوفاته أظلمت الأرض، ونجد في القرآن آيات كثيرة تعبر عن رسول الله له بالنور كقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾^[٤]، والأرض مخلوقة للبشرية جمعاء، فلكل واحد منهم حُصَّةٌ فيها، وحُصَّةُ الزهراء **عَلَيْهَا** أن ترزق قطعة أرض تُدْفَن فيها، وفي ذلك درس أخلاقي في الزهد عن ملاذات الدنيا الفانية، إذ تقولُ **عَلَيْهَا**: «ثُمَّ ارزُقني في خُطتي من الأرض حُصَّتي، موضعَ جنبي حيثُ يَرَفُثُ لَحْمي، ويُدْفَن عظمي»^[٥]، ونلاحظ هنا فنياً جماليةً الجنس بين لفظتي (خُطتي، حُصَّتي) وما أثارته من نغم موسيقي هادئ حزين فضلاً عن غلبة الأصوات المهموسة (الحاء، والتاء، والفاء) وكأنَّ الحُزن بلغ ذروته من الإعياء والتعب، ومن مظاهر يوم القيامة انشقاق الأرض؛ لتُخرج ما في باطنها من الخلائق فيبعثوا ليحاسبوا، إذ تقولُ **عَلَيْهَا**: «ثُمَّ بَارِكْ لِي فِي البعثِ والحسابِ، إذا انشَقَّتِ الأرضُ عني، وتَحَلَّى العبادُ مِنِّي»^[٦].

٢. الجبال: تقولُ **عَلَيْهَا** في مرحلة تكوينها: «وانتصبتُ الجبالُ الرُّواسيَّ

[١] ينظر: لسان العرب، مادة (مهد): ٢٢٤/١٣.

[٢] مسند فاطمة الزهراء **عَلَيْهَا**: ٤٠٩.

[٣] الإحتجاج: ٢٦١/١.

[٤] سورة المائدة: ١٥.

[٥] مسند فاطمة الزهراء **عَلَيْهَا**: ٣٩٩.

[٦] مسند فاطمة الزهراء **عَلَيْهَا**: ٣٩٩.

الأوتاد»^[١]، ومعنى الانتصاب، هو وضع الشيء ورفعُه وجعله علماً^[٢]، ووصفها بالرواسي فيه دلالة على ثباتها ورسوخها في الأرض^[٣]، وقد تُجمَع (راسيات)، نحو قولها عَيْكَا: «وَبِعِزَّتِهِ اسْتَقَرَّتِ الرَّاسِيَاتُ»^[٤]، فضلاً عن أنها مَوْتَدَةٌ في الأرض، أي ثابتة^[٥].

وقد يُنسَبُ الخشوع الى الجبال مجازاً^[٦]، نحو قولها عَيْكَا في وفاة أبيها عليه السلام: «وَخَشَعَتِ الْجِبَالُ، وَأَضْيَعُ الْحَرِيمُ، وَأَزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ مَمَاتِهِ»^[٧]، ومعنى خشوع الأرض، تطامنها، يقال: طأمنَ ظهره، إذا حنى ظهره، وطأمنَ الشيء، سكتَه، ومنه الطمأنينة، أي السكون^[٨]، والمعنى أن الجبال قد انحنت خشوعاً وسكنت حزناً لرحيل النبي محمد عليه السلام.

٣. البَحَارُ: تقولُ عَيْكَا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِكَلِمَاتِهِ... وَقَفْتُ عَلَى حُدُودِهَا الْبَحَارُ»^[٩]، إن من عجيب صنع الخالق تعالى أن جعلَ حداً للماء لا يتجاوزه ويتعداه، فانحسر بذلك عن بعض وجه الأرض، ولولا ذلك لكان الماء لا بساً لوجه الأرض، ولكانت الأرض في وسطه شبيهةً بمُحِّ البيض، والماء حولها بمنزلة البياض^[١٠]، فحصر الله تعالى بقدرته البحار في حدٍّ لا تتعداه تقولُ عَيْكَا: «الْحَمْدُ

[١] مسند فاطمة الزهراء عَيْكَا: ٤٠٦.

[٢] ينظر: لسان العرب، مادة (نصب): ١٦٩/١٤.

[٣] ينظر: لسان العرب، مادة (رسا): ٢٥٥/٥.

[٤] مسند فاطمة الزهراء عَيْكَا: ٤٠٩.

[٥] ينظر: لسان العرب، مادة (وتد): ٢٢٨/١٥.

[٦] ينظر: أساس البلاغة: ٢٤٨/١.

[٧] الإحتجاج: ٢٧٠/١.

[٨] ينظر: لسان العرب، مادة (طمن): ٢٣٣/٨، وذهب ابن جني إلى أن (اطمأن) مقلوبة من (طأمن) وهو ما عليه سيبويه، وعلّة ذلك أن الفعل إذا لم تكن فيه زوائد فهو أجدر بأن يكون أصلاً، والفعل (اطمأن) لِحَقَّتْهُ الزيادة، فهو مقلوب من (طمأن). ينظر الخصائص: ٧٤/٢، والمنصف في شرح كتاب التصريف، أبو الفتح عثمان بن جني: ١٠٤/٢.

[٩] مسند فاطمة الزهراء عَيْكَا: ٤٠٦.

[١٠] ينظر: عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات: ٩٩.



لله... حَاصِرِ الْبِحَارِ»^[١].

ممّا تقدّم نلاحظ أنّ ثمت علاقة الاشتمال بين الوحدات اللغويّة (الارض، والجبال، والبحار)، والمتضمّن الأعلى (الطبيعة، والارضيّة، والحقيقيّة)، وكذلك نلاحظ علاقة الترادف الجزئيّ بين الوحدات اللغويّة (الرّواسي، والأوتاد، والانتصاب).

ب. الطَّبِيعَةُ الصَّنَاعِيَّةُ:

١. الْبَيْتُ: يُطْلَقُ عَلَى الْبِنَاءِ الضَّخْمِ الْمُرَوَّقِ، وَبَيْتِ الرَّجُلِ، دَارُهُ، وَسُمِّيَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ بِ(الْبَيْتِ الْحَرَامِ)^[٢]، تَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ... أَبْلُغْ رُوحَ مُحَمَّدٍ مَنَّا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَ»^[٣]، وَسُمِّيَ بِالْحَرَامِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ حَرَمَهُ وَعَظَّمَهُ وَحَرَّمَ الْقِتَالَ وَالْأَصْطِيَادَ عِنْدَهُ^[٤]، وَتُسَمِّيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ بِ(الدَّارِ)، وَذَلِكَ بِقَوْلِهَا: «فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ وَمَأْوَى أَصْفِيَائِهِ، طَهَّرَ فِيكُمْ حَسِيكَةَ النَّفَاقِ»^[٥]، مَا أَرُوعَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ وَمَا أَحْسَنَ هَذَا التَّعْبِيرَ الرَّاقِيَّ إِذْ أَنَّهُمَا مَا قَالَتْ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ، بَلَ قَالَتْ: «فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ دَارَ أَنْبِيَائِهِ»، وَهِيَ الدَّرَجَاتُ الْعُلَا فِي الْجَنَّةِ، فَهَنَّاكَ الْأَنْبِيَاءَ، وَهَنَّاكَ «مَأْوَى أَصْفِيَائِهِ»، وَالِدَّارَ، اسْمُ جَامِعٍ لِلْعَرَصَةِ وَالْبِنَاءِ وَالْمَحَلَّةِ، وَكُلُّ مَوْضِعٍ حَلَّ بِهِ قَوْمٌ، فَهُوَ دَارُهُمْ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِكثْرَةِ حَرَكَاتِ النَّاسِ وَدَوْرَانِهِمْ فِيهَا، وَالْجَمْعُ دُورٌ، وَأَدْوَرٌ، وَأَدْوَرٌ^[٦]، وَالْآخِرَةُ دَارُ الْبَقَاءِ وَالْخُلُودِ، وَدَارُ الْأَنْبِيَاءِ الْجَنَّةُ، تَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وإِلَى دَارِ السَّلَامِ فَاهْدِنِي»^[٧]، وَالدُّنْيَا دَارُ الْفَنَاءِ، قَوْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَمُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ»^[٨].

[١] مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ٤٠٩.

[٢] ينظر: لسان العرب، مادة (بيت): ٦٧٠/١.

[٣] مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ٤٠٩.

[٤] ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي: ١٤١/٦.

[٥] الإحتجاج: ٢٦٣/١.

[٦] ينظر: لسان العرب، مادة (دور): ٥٠٨/٤.

[٧] مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ٤٠٨.

[٨] الإحتجاج: ٢٥٦/١.

و(المأوى)، المَرْجِع، وأوى الى الله، رجع إليه^[١]، ومنه قوله تعالى: ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾^[٢]، أي الجنة التي يأوي إليها المؤمنون، والأصفياء، والمرادُ بها هنا جنة الآخرة.

وتقولُ عَائِشَةُ في القرآن الكريم: «يَهْتَفُ فِي أَفْنِيَّتِكُمْ هَتَافًا»^[٣]، و(الفناء)، سَعَةٌ أمام الدار، أو ما أمتد من جوانبها، والجمعُ أَفْنِيَّةٌ، وَسَمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ إِذَا تَنَاهَيْتَ إِلَى أَقْصَى حُدُودِهَا فَنَيْتَ^[٤].

وتقولُ عَائِشَةُ في صاحب الفتنة: «فَخَطَرَ فِي عَرَصَاتِكُمْ»^[٥]، و(العرصة)، هي كُلُّ بَقْعَةٍ بَيْنَ الدُّوَرِ وَاسِعَةٍ لَيْسَ فِيهَا بِنَاءٌ، وَعَرِصَةُ الدَّارِ: وَسَطُهَا، وَقِيلَ هُوَ مَوْضِعٌ وَاسِعٌ لَّا بِنَاءَ فِيهِ، وَسَمِّيَتْ بِذَلِكَ لِاعْتِرَاصِ الصَّبِيَّانِ فِيهَا^[٦]، والمراد بقولها عَائِشَةُ: أي مشى ذلك البعير مشية المعجب بنفسه، مشية الكبرياء والغرور، وكلها كنيات عن ظهور النفاق الكامن في الصدور، وبروز النزعات والاتجاهات التي كانت مختفية في عصر الرسول ﷺ وانقلاب الضعفاء العجزة أقوياء.

٢. الصِّيَاصِيُّ: وهي الحصون، وكل شيء امتنع به وتحصن به، فهو صيصية، شَبَّهَت الرِّمَاحَ الَّتِي تُشْرَعُ فِي الْفِتْنَةِ وَمَا يَشْبِهُهَا مِنْ سَائِرِ السَّلَاحِ بِقُرُونِ الْبَقْرِ وَهِيَ مَجْتَمِعَةٌ، وَرَبَّمَا كَانَتْ تَرْكَبُ فِي الرِّمَاحِ مَكَانَ الْأَسْتَةِ^[٧]، تقولُ عَائِشَةُ دَاعِيَةً عَلَى أَعْدَائِهَا: «اللَّهُمَّ وَأَعْدَائِي وَمَنْ كَادَنِي بِسُوءٍ... أَنْزِلْهُمْ مِنْ صِيَاصِيهِمْ، أَمْكِنَّا مِنْ نَوَاصِيهِمْ»^[٨]، وقد يكون هذا الحصن الذي أشارت إليه السيدة الزهراء عَائِشَةُ مجازياً لا حقيقياً، بمعنى الغطاء والستار من بدع وغيرها التي تستترها خلفها، فأصبحت كأنها حصنٌ تمترسوا خلفه، واقٍ لهم من نعمة الأمة عليهم، فتطلب

[١] ينظر: لسان العرب، مادة (أوا): ٣٣٣/١.

[٢] سورة النجم: ١٥.

[٣] الإحتجاج: ٢٧٠/١.

[٤] ينظر: لسان العرب، مادة (فني): ٣٧٦/١٠.

[٥] الإحتجاج: ٢٦٤/١.

[٦] ينظر: لسان العرب، مادة (عرص): ١٥٤/٩.

[٧] ينظر: لسان العرب، مادة (صيص): ٤٩١/٧.

[٨] مسند فاطمة الزهراء عَائِشَةَ: ٤٠٨.



عَلَيْهَا من الله تعالى أن يُعْرِيهِمَ منها لكي يستبين أمرهم للعامة وليُفَضِّحُوا على حقيقتهم، وليُعوِدَ الحقُّ إلى أهلِهِ، ولعلَّ هذا الأمر هو ما عَتَتَهُ عَلَيْهَا بقولها (أمكننا من نواصيهم).

المُبْحَثُ الثَّانِي: الطَّبِيعَةُ الْحَيَّةُ

يتمحورُ هذا المبحث على ثلاثة محاورٍ هي:

المحورُ الأوَّلُ: الإِنْسَانُ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ: وتشملُ على ثلاثة مطالبٍ هي:

المطلبُ الأوَّلُ: الألفاظُ الدَّالَّةُ على الجماعةِ: وهي على قسمين:

١. الألفاظُ الدَّالَّةُ على العمومِ:

أ. الأُمَّمُ: جمعُ أُمَّةٍ، وهي الطَّرِيقَةُ والدين^[١]، والمقصود بالأُمَّمِ، المملِ المختلفة من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم، ومنه قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^[٢]، أي خير أهل طريقة ودين أظهرها الله للناس^[٣]، ولم ترد لفظة (أُمَّة) في تعبير السيدة الزهراء عَلَيْهَا إِلَّا جمعاً، نحو: قولها عَلَيْهَا في بعثة النبي الخاتم وَالرَّبِّيَّةِ: «فَرَأَى الأُمَّمَ فَرَقاً فِي أديَانِهَا»^[٤]، أي كانوا متفرقين؛ فكلُّ أُمَّةٍ تتبع طريقةً وشريعةً للعبادة تختلف عن غيرها، وتقولُ عَلَيْهَا في مدح جهاد الأنصار: «وَنَاطَحْتُمُ الأُمَّمَ، وَكَافَحْتُمُ البُهَمَ»^[٥]، ومعنى ناطحتم، من تناطحت الكباش، أي تضاربت بقرونها^[٦]، والمناطحة هنا كناية عن المجاهدة، والقتال الشَّدِيد.

ب. الخَلَائِقُ: جمع خليفة، يُقال: هم خَلِيقَةُ الله، وهُمْ خَلَقَ اللهُ أيضاً^[٧]، تقولُ السيدة الزهراء عَلَيْهَا في زمن اختيار الرسول ﷺ: «إِذْ الخَلَائِقُ بالغيبِ

[١] ينظر: الصحاح، مادة (أمم): ٤٨.

[٢] سورة آل عمران: ١١.

[٣] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٤٣١/٣.

[٤] الإحتجاج: ٢٥٧/١.

[٥] الإحتجاج: ٢٥١/١.

[٦] ينظر: لسان العرب، مادة (نطح): ٢٠٢/١٤.

[٧] ينظر: الصحاح، مادة (خلق): ٣٢٦.

مَكْنُونَةٌ، وبسُترِ الأَهاويلِ مَصُونَةٌ، وَبِنِهَايَةِ العَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْمًا مَنَ اللهُ تَعَالَى بِمَآيِلِ الأُمُورِ^[١]، والمرادُ بِكونِها مَكْنُونَةٌ، مَسْتُورَةٌ، وَمِنِهَا الأَكِنَّةُ، الأَسْتِرُ وَالغِطَاءُ وَالْحِجَابُ، نَحْوُ: قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾^[٢]، والمرادُ بِهذا النِصِّ الشَّرِيفِ: إِنَّ اللهُ تَعَالَى اصْطَفَى مُحَمَّدًا وَاخْتَارَهُ وَاجْتَبَاهُ فِي الوَقْتِ الَّذِي كَانَتِ الخَلَائِقُ وَهَمَّ النَّاسُ غَيْرُ مَوْجُودِينَ بَلْ كَانُوا فِي الغَيْبِ مَخْتَفِينَ مَسْتُورِينَ، أَي كَانُوا فِي عِلْمِ غَيْبِ اللهِ، وَمَا كَانَ لَهُمْ وَجُودٌ فِي الخَارِجِ بِحَيْثُ مَا كَانَ يُمْكِنُ إِدْرَاكِهِمْ، فَالْخَلَائِقُ كَانَتِ بَعِيدَةً عَنِ الوُجُودِ أَي كَانَتِ مَعْدُومَةً، فَمِنَ ذَلِكَ الوَقْتِ اخْتَارَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِسَبَبِ عِلْمِهِ بِعَوَاقِبِ الأُمُورِ وَمَا تَرَجَعَ إِلَيْهِ الأُمُورِ، كَانَ اللهُ يَعْلَمُ عَوَاقِبَ البَشَرِ، وَعَوَاقِبَ حَالَاتِهِمْ وشُؤْنِهِمْ، وَعَوَاقِبَ رِسَالَةِ النَّبِيِّ وَبِعَثَّتِهِ، وَمَوَاهِبَهُ وَكِفَائَتَهُ لِلرِّسَالَةِ بِسَبَبِ اتِّصَافِهِ بِالأَخْلَاقِ الحَمِيدَةِ وَالصِّفَاتِ الجَمِيلَةِ، وَلِهَذَا اخْتَارَهُ لِلرِّسَالَةِ مِنَ ذَلِكَ الوَقْتِ، وَقَدْ صَرَّحَتْ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ جَدًّا مَرْوِيَةٌ عَنِ رَسولِ اللهِ: أَنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ نُورَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَكَذَا قَوْلُهُ: «إِنَّ اللهُ خَلَقَ نُورِي وَنُورَ عَلِيٍّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ أَوْ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِاثْنَتَيْ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ أَوْ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^[٣]، وَتَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَدَالَةِ رَبِّ العَالَمِينَ فِي قِسْمَتِهِ الأَرْزَاقِ بَيْنَهُمْ: «وَقَسَّمَتِ الأَرْزَاقَ بَيْنَ الخَلَائِقِ، فَسَوَّيْتُ بَيْنَ الذَّرَّةِ وَالْعُصْفُورِ»^[٤].

ج. العِبَادُ: جَمْعُ العَبْدِ، وَهُوَ الإِنْسَانُ حُرًّا كَانُ أَوْ عَبْدًا، يُذْهَبُ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّهُ مَرْبُوبٌ لِبَارِيهِ جَلًّا وَعِزًّا^[٥]، تَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنْتُمْ عِبَادُ اللهِ نُصِبُ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ»^[٦]، وَمَعْنَى (نُصِبَ) مَنْ نَصَبَتِ الشَّيْءَ، إِذَا أَقَمَّتْهُ وَرَفَعَتْهُ^[٧]، وَالنُّصْبُ: الشَّيْءُ المَرْتَفَعُ المَنْصُوبُ، نَحْوُ: العِلْمُ مِثْلًا، وَمَعْنَى (نُصِبُ أَمْرُهُ)، أَي أَنْتُمْ الأَجْدَرُ بِتَطْبِيقِ أَمْرِ اللهِ تَعَالَى وَالانْتِهَاءِ عَنِ نَوَاهِيهِ، وَمَعْنَى إِقَامَةِ الشَّيْءِ، الإِيتْيَانُ بِهِ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، وَمِنِهِ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ، أَي الإِيتْيَانُ بِهَا تَامَّةً الأَجْزَاءِ والأَرْكَانِ.

[١] الإحتجاج: ٢٥٦/١.

[٢] سورة الاسراء: ٤٦.

[٣] بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٢٤/١٥.

[٤] مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ٤٠٦.

[٥] ينظر: لسان العرب، مادة (عبد): ٨/٩.

[٦] الإحتجاج: ٢٥٧/١.

[٧] ينظر: الصحاح، مادة (نصب): ١١١٣.



د. البرية: هي الخلق، وأصله الهمز؛ إذا أخذ من برأه الله يبرؤه، أي خلقه، وهي لا همز؛ إذا أخذ من برأه الله يبرؤه براً والجمع البرايا والبريات من البرى، أي التراب^[١]، تقولُ عَلَيْكَ في علة بعثة النبي محمد ﷺ: «وتعبداً لبريته»^[٢]، وأشارت بلفظ التعبُد وخصته بالبرية، إشارة إلى ما أودعه الله تعالى فيهم من فطرة نقيه، فلو خلِّي الإنسان وفطرته لتوجه بالعبادة لخالقه.

هـ. النَّاسُ: مأخوذ من ناس الشيء ينوس نوساً، أي تحرك وتذبذب^[٣]، وقد يكون مأخوذاً من (النَّس)، وهو السَّوق الشَّدِيد^[٤]، وعلى كلا المعنيين فإن لفظة (النَّاس) تدل على الحركة والسَّرعة والاضطراب، تقولُ عَلَيْكَ: «أيها النَّاس اعلموا: إنِّي فاطمةٌ وأبي مُحَمَّد ﷺ»^[٥].

٢. الألفاظ الدالة على الخصوص:

أ. التُّخْبَةُ: وهي خيار القوم وخاصتهم^[٦]، تقولُ عَلَيْكَ في الأنصار: «والتُّخْبَةُ التي أنتخبْت، والخيرة التي أختيرت لنا أهل البيت»^[٧]، ومعنى (الخيرة)، المختارون من قبل الله تعالى والمصطفون، مأخوذ من الخير^[٨].

ب. العَرَبُ: جيلٌ من النَّاس معروف من ولد إسماعيل النبي ﷺ، خلاف العجم، والأعرابي: البدوي، وهم الأعراب، فمن نزل البادية، وجاور البادين، وظعن بضعنهم، فهو أعرابي، ومن استوطن المدين والقرى العربية، فهو عربي، فلا يقال للمهاجرين والأنصار أعراب؛ إنما هم عرب؛ لأنهم استوطنوا القرى

[١] ينظر: لسان العرب، مادة (بري): ٤٨٤/١، وقد يكون مأخوذاً من (البرى) القطع؛ لأن الله قطعهم من جملة الحيوان، فأفردهم بصفات ليست لغيرهم. ينظر: الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد بن عبدالرحمن بن صالح الشايع: ٢٧٦.

[٢] الإحتجاج: ٢٥٦/١.

[٣] ينظر: لسان العرب، مادة (نوس): ٣٥٩/١٤.

[٤] ينظر: لسان العرب، مادة (نس): ١٣٣/١٤.

[٥] الإحتجاج: ٢٥٩/١.

[٦] ينظر: الصحاح، مادة (نخب): ١٠٩٦.

[٧] الإحتجاج: ٢٧١/١.

[٨] ينظر: الصحاح، مادة (خير): ٣٣٧.

العربية، وسكنوا المَدُن^[١]، والأعراب أشدُّ كُفْراً ونِفاقاً كما وصفهم الله تعالى^[٢]؛ وذلك «لُبْعُدْهِمَ عَنِ الْمَدِينَةِ وَالْحَضَارَةِ، وَحِرْمَانِهِمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْإِنْسَانِيَةِ مِنَ الْعَالَمِ وَالْأَدَبِ أَفْسَى وَأَجْفَى، فَهَمَّ أَجْدَرُ وَأَحْرَى أَنْ لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْمَعَارِفِ الْأَصْلِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ فَرَائِضِ وَسْنَنِ وَحِلَالِ وَحِرَامِ»^[٣]، ولم ترد مفردة (العرب) في تعبيرها عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا فِي سِيَاقِ الدَّمِ وَالْهَيْجَاءِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ تَصْفَهُمْ بِالذَّنَابِ الشَّرْسَةِ؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِقَسْوَتِهِمْ وَخُبْثِهِمْ: «وَذُؤْيَانِ الْعَرَبِ»^[٤]، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ تَمْتَدُّحُ الْأَنْصَارِ لِمُقَاتَلَتِهِمُ الْعَرَبَ: «قَاتَلْتُمُ الْعَرَبَ، وَتَحَمَّلْتُمُ الْكَدَّ وَالتَّعَبَ»^[٥]، فَهِيَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَجَّهَ خُطَابُهَا لِلْأَنْصَارِ، وَهِيَ عَرَبٌ، فَمَا مَعْنَى مُقَاتَلَتِهِمْ لِلْعَرَبِ؟!، يَظْهَرُ بِأَنَّهَا قَصِدَتْ جِنْساً خَاصاً مِنْهُمْ، لَا عَمُومَهُمْ، وَلَعَلَّهَا أَرَادَتْ بِالْعَرَبِ، الْأَعْرَابَ الْمَعْرُوفِينَ بِشِدَّتِهِمْ وَقَسْوَتِهِمْ.

ج. المَعَشْرُ وَالْمَعَاشِرُ: المَعَشْرُ، النَّفَرُ وَالْقَوْمُ وَالرَّهْطُ، وَكُلُّ جَمَاعَةٍ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ^[٦]، تَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَخَاطَبَةَ الْأَنْصَارِ: «يَا مَعْشَرَ النَّقِيبَةِ»^[٧]، وَالنَّقِيبُ، عَرِيفُ الْقَوْمِ وَشَاهِدُهُمْ وَضَمِينُهُمْ، وَمَعَاشِرُ: جَمَاعَاتُ النَّاسِ^[٨]، وَهِيَ جَمْعُ (مَعْشَرٍ) وَيَظْهَرُ بِذَلِكَ اخْتِلَافُ أَفْكَارِهِمْ وَأَرَائِهِمْ وَمَا يُؤْمِنُونَ بِهِ؛ لِذَا تُخَاطَبُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمُسْلِمِينَ بِلَفْظَةِ (مَعَاشِرٍ)؛ لِأَنَّهَا جَمَاعَاتٌ مُشْتَتَةٌ وَمُتَفَرِّقَةٌ، تَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، الْمُسْرِعَةَ إِلَى قَيْلِ الْبَاطِلِ، الْمُغْضِيَةَ عَلَى الْفِعْلِ الْقَبِيحِ الْخَاسِرِ»^[٩].

الموازنة بين الوحدات اللغوية الواردة في هذه المجموعة:

❁ الفرق بين النَّاسِ وَالْخَلْقِ: النَّاسُ مأخوذة من الأَنْسِ، وهو خلاف الوحشة،

[١] ينظر: لسان العرب، مادة (عرب): ١٢٨/٩.

[٢] قوله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٩٧.

[٣] الميزان في تفسير القرآن: ٣٨٣/٩.

[٤] الإحتجاج: ٢٦٢/١.

[٥] الإحتجاج: ٢٧١/١.

[٦] ينظر: لسان العرب، مادة (عشر): ٢٥٣/٩.

[٧] الإحتجاج: ٢٦٩/١.

[٨] ينظر: لسان العرب، مادة (عشر): ٢٥٣/٩.

[٩] الإحتجاج: ٢٧٨/١.



أي أن بعضهم يأنس ببعض، وهي جمع لا مفرد لها من لفظها، أمّا الخلق: فهو مصدر سُمِّيَ به المخلوقات، من الجماد والحيوان والإنسان والنبات .

✽ الفرق بين المعشر والمعاشر: أن الأولى للجماعة المتحدّة الفكر والعقيدة والرؤى، والمعاشر، الجماعات المختلفة، التي قد تربطها روابط مشتركة، إلا إنّ التناحر والتخاصم، هي السّمة الغالبة عليها.

✽ الفرق بين البرية والنّاس: أن البرية، من برأ الله الخلق أي ميّز صورهم، أمّا (النّاس) عامّة لا تميّز فيها^[١].

✽ بين النّخبة والمعشر علاقة اشتغال، فكل نخبة هم معشر، وليس كل معشر نخبة.

المطلب الثاني: الألفاظ الدّالة على القرابة:

أ. الأب: ذكرت السيّدة الزّهراء عليها السلام في خطابها لفظة (أبي) ثمان مرات، حملت عدّة دلالات في:

- ❖ قولها عليها السلام: « وأشهد أنّ أبي مُحَمَّدًا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله »^[٢].
- ❖ قولها عليها السلام: « فأنا لله بأبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله ظلّمها »^[٣].
- ❖ قولها عليها السلام: « صلى الله على أبي نبيّه وأمّينه على الوحي »^[٤].
- ❖ قولها عليها السلام: « إنّي فاطمة وأبي مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله »^[٥].
- ❖ قولها عليها السلام: « فإنّ تعزوه وتعرفوه، تجدوه أبي دون نسائكُم »^[٦].

[١] ينظر: الفروق اللغوية: ٢٧٤.

[٢] الإحتجاج: ٢٥٦/١.

[٣] الإحتجاج: ٢٥٧/١.

[٤] الإحتجاج: ٢٥٧/١.

[٥] الإحتجاج: ٢٥٩/١.

[٦] الإحتجاج: ٢٥٩/١.

❖ قولها عليها السلام: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا كَانَ أَبِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَنْ كِتَابِ اللَّهِ صَادِقًا»^[١].

❖ قولها عليها السلام: «هَذَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ يَبْتَزُّنِي نَحْلَةَ أَبِي»^[٢].

❖ قولها عليها السلام: «شَكَاوِي إِلَى أَبِي، وَعُدَاوِي إِلَى رَبِّي»^[٣].

لقد كررت السيدة الزهراء عليها السلام ذكر أبيها بإضافته لياء المتكلم؛ لأسباب كثيرة ودواعٍ جليلة منها:

• التكرار من باب الاستئناس، فللعلاقة الوطيدة التي تربطها بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله ولفقدتها إياه، وجدت عليها السلام في تكرار ذكره أنساً وسروراً لقلبها الحزين.

• الشعور بالغبين والجحد والظلم الذي وَقَعَ على البيت العلوي بالاجتراء عليه، وحرمانه من حقوقه المشروعة^[٤]، وهو ما بيّنته عليها السلام في المقطع الأخير علانية عند مخاطبتها لأمر المؤمنين عليهم السلام.

• تذكير القوم بفضل رسول الله صلى الله عليه وآله عليهم، وإنقاذهم من الظلم والفساد والرذيلة.

• التعالي على المصالح الدنيوية الضيقة، والإبحار في أفق واسع أرحب، متمثلاً بعظم المصيبة، والفاجرة الأليمة، التي حلت بالأمّة؛ لفقد نبيها وانقطاع الوحي، وتنبيه الأمة إلى خطورة ما أقدموا عليه.

• التشرّف بذكره صلى الله عليه وآله، فكفاها شرفاً وفخراً وسموّاً أنّها ابنته وبضعته وحبيبته، تقول عليها السلام: «وَلَنَعْمَ الْمَعْرَى إِلَيْهِ صلى الله عليه وآله»^[٥].

[١] الإحتجاج: ٢٧٦/١.

[٢] الإحتجاج: ٢٨٠/١.

[٣] الإحتجاج: ٢٨٢/١.

[٤] ينظر: المثال في خطاب الزهراء عليها السلام، د. عباس علي الفحام، بحث غير منشور ألقى في المؤتمر الدولي حول شخصية السيدة الزهراء عليها السلام، في جامعة الكوفة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م: ٥.

[٥] الإحتجاج: ٢٥٩/١.



• الترابط الروحي بينهما، وإشعار الأمة بالحضور النبوي من خلالها، يظهر ذلك من خلال النسب الشريف الذي كررته، وفيما نقله لنا أرباب التأريخ بكيفية خروجها الى المسجد، وطريقة مشيتها عليها السلام؛ إذ عبّر عنها بـ «تطأ ذبولها ما تخرم مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»^[١].

ب. الأَخُّ: أطلقت السيدة الزهراء عليها السلام لفظ (الأخ) في خطابها، على العلاقة والرابطة القائمة بين الإمام علي عليه السلام والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ولعلها بذلك أرادت تذكير الأمة بحادثة (المؤاخاة)^[٢] وحديث المنزلة^[٣]، وفيهما كان لعلي عليه السلام من الميزات ما لم يكن لغيره، فإذا أقرت الأمة بذلك، كان ردعاً لها لما أقدمت عليه، من ظلم واعتداء على منزلته السامية.

لقد ذكرت السيدة الزهراء عليها السلام لفظة (الأخ) في موضعين، وفي كل مرة حمل دلالةً مختلفة:

✽ الموضع الأول: تقول عليها السلام: «كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ، أَطْفَأَهَا اللَّهُ، أَوْ نَجَّمَ قَرْنُ الشَّيْطَانِ، أَوْ فَعَّرَتْ فَاعْرَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا»^[٤]، وهنا تُقدِّم ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتُسبب علياً عليه السلام له، والضَّمير يعود الى علي عليه السلام كما هو واضح، ويبدو أن علة ذلك راجعة الى المقام والسياق الذي وردت فيه؛ فالموقف موقف حرب وشدّة وعناء، مما يوحي الى ثقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعلي عليه السلام، وبقدّرتِه في إخماد نار الحرب وإطفائها، فهو (أخاه)، فكان الرسول يأمر علياً أن يرد عنه كتائب المشركين وعصابات المنافقين فكان علي يخاطر بحياته، ويغامر بنفسه، ويستقبل أولئك الذئاب المفترسة، كان يقاتلهم وحده، ويخوض غمار الحرب، فيصح التعبير بقولها عليها السلام: قذف أخاه في لهواتها في قم الموت بين أنياب السباع تحت سيوف الأعداء، والرماح الشارعة والسهام الجارحة.

[١] حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، باقر شريف القرشي: ٣٤٦.

[٢] وهو ما عليه إجماع أرباب السير. ويومها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»، ينظر: تاريخ الأحمدي: ٤٩.

[٣] ينظر: المعجم الكبير: ١٤٦/١ رقم الحديث (٣٢٨)، والمعجم الأوسط: ٢٨٧/٥ رقم الحديث (٥٣٣٥).

[٤] الإحتجاج: ٢٦٢/١.

✽ الموضوع الثاني: تقول عائشة في موضع آخر بعد ذكرها للنبي محمد ﷺ: «وأخا ابن عمي دون رجالكم»^[١]، وهنا تُنسب النبي ﷺ إلى عليٍّ عيسى، وتُضيفه إليه، على العكس من الموضوع الأول، وأنه الأوحدي من الأمة الذي يملك هذه الميزة^[٢]؛ إذ تُظهر عائشة بذلك مكانةً أخرى لعلي عيسى، فمن أراد اتباع الرسول ﷺ، فعليه باتِّباع أخيه، نعم، إنه أخو زوج البتول عائشة، ولم يشارك أحد من الرجال الذين خاطبتهم أيها ﷺ في الأخوة وليس المقصود هنا أخوة النسب بل الأخوة التي حصلت يوم المؤاخاة حينما آخى رسول الله بين أصحابه، وآخى بينه وبين علي عيسى، وكان الرسول ينوه بهذه الأخوة في شتى المناسبات ومختلف المجالات، ويركز على كلمة: (أخي) كقوله: ادعوا لي أخي، وأين أخي؟ وأنت أخي، وإنه أخي في الدنيا والآخرة.

ج. الابن والابنة: ورد ذكر (الابنة) مرتين مضافاً إلى النبي ﷺ، وفيه استشعار للأمة بقرب المنزلة وعلو المرتبة، التي لا يُضاهيها أحد:

✽ تقول عائشة: «بلى قد تجلّى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته»^[٣]، وهي هنا في مقام الاحتجاج، والمطالبة بالإرث الطبيعي من رسول الله ﷺ، وأنها الورثة له ﷺ بموجب النسب الطبيعي بينهما.

✽ تقول عائشة: «وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد»^[٤]، وذكر النسب الشريف هنا حمل دلالة الإنذار والوعيد؛ إذ استنفذت عائشة كل الحجج والبراهين في ردع القوم وما أقدموا عليه.

وأما ذكر (الابن) فقد ورد بصيغة المثني، إشارة إلى ابني رسول الله ﷺ، الحسن والحسين (عليهما السلام)، تقول في بيان صفة فدك «وبُلغة ابني»^[٥]، والبُلغة: ما يُتبلَّغُ به من العيش، وفيها معنى الاكتفاء^[٦]، وفي ذلك إشارة إلى فدك، وأنها للزهراء عائشة ولذريتها من بعدها.

[١] الإحتجاج: ٢٥٩/١.

[٢] ينظر: الهداية الكبرى، أبو عبدالله الحسين بن حمدان الخصبي: ١٣٨.

[٣] الإحتجاج: ٢٦٧/١.

[٤] الإحتجاج: ٢٧٤/١.

[٥] الإحتجاج: ٢٨٠/١.

[٦] ينظر: لسان العرب، مادة (بلغ): ٥٩٨/١.



المطلب الثالث: الألفاظ الدالة على أعضاء الإنسان وما يتعلّق بها:

أولاً: ألفاظ أعضاء الإنسان:

١. الْقَلْبُ: مُضَعَّةٌ مِنَ الْفُؤَادِ مُعَلَّقَةٌ بِالنِّيَاطِ^[١]، وَقَدْ يُطْلَقُ الْقَلْبُ وَيُرَادُ بِهِ (العقل)، نَحْوُ: قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^[٢]، فَالْقَلْبُ هُنَا: مَا يَعْقِلُ بِهِ الْإِنْسَانُ فَيُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ^[٣]، فَإِذَا لَمْ يَعْقِلْ بِهِ، اسْتَغْلَقَتْ عَلَيْهِ الطَّرِيقُ، وَاسْتَبْهَتَ عَلَيْهِ الْأُمُورَ وَأَشْكَتْ، وَلَمْ يُمَيِّزْ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَهُوَ كَالْمَبْهَمِ؛ لِذَا تَحْتَاجُ الْقُلُوبُ إِلَى مَنْ يِرْعَاهَا وَيُدَلِّهَا عَلَى الصِّرَاطِ السَّوِيِّ، تَقُولُ السَّيِّدَةُ الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي بَعْثَةِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ: «وَكَشَفَ عَنِ الْقُلُوبِ بُهْمَهَا»^[٤].

وَلَوْ خُلِّيتِ الْقُلُوبُ وَمَا فَطَّرَتْ عَلَيْهِ، لَدَلَّتْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا وُصِلَتْ الْإِنْسَانُ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ مُدْعِنًا صَاغِرًا، تَقُولُ عَلَيْهَا السَّلَامُ فِي الشَّهَادَةِ الْأُولَى: «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَهَا»^[٥]، فَالْقُلُوبُ مُشْتَمَلَةٌ وَمَوْصَلَةٌ، إِلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ، وَالدَّقَائِقُ الْمُسْتَنْبِطَةُ مِنْهَا^[٦]، وَالْمَقْصُودُ أَنَّ كَلِمَةَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) تَعُودُ فِي مَعْنَاهَا إِلَى الْإِخْلَاصِ، مِثْلَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ»^[٧]، فَالْمَقْصُودُ مِنَ الْإِخْلَاصِ هُوَ جَعْلُهُ خَالِصًا مِنَ النِّقَاطِصِ كَالْجِسْمِ وَالْعَرْضِ، وَمَا شَاكَلَهُمَا مِنَ النِّقَاطِصِ، وَكَمَالُ الْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ، أَيِ الصِّفَاتِ الزَّائِدَةِ عَلَى ذَاتِهِ لِأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ مَنْصُفٌ بِصِفَتِهِ، وَصِفَتُهُ غَيْرُ ذَاتِهِ، فَالْإِنْسَانُ غَيْرُ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ غَيْرُ الْإِنْسَانِ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِلْمُهُ عَيْنُ ذَاتِهِ، وَبِقِيَّةِ صِفَاتِهِ كُلِّهَا عَيْنُ ذَاتِهِ، كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْزَمَ الْقُلُوبَ الْمَعْنَى الَّذِي تَصِلُ إِلَيْهِ كَلِمَةَ

[١] ينظر: لسان العرب، مادة (قلب): ٢٨٣/١١.

[٢] سورة ق: ٣٧.

[٣] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٣٨٣/٩.

[٤] الإحتجاج: ٢٥٧/١.

[٥] الإحتجاج: ٢٥٥/١.

[٦] ينظر: اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ، المولى محمد علي بن أحمد القراجه داغي التبريزي الأنصاري: ٣٧٩.

[٧] شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٤/١.

(لا إله إلا الله) وهو معنى التوحيد الفطري، أي جعل القلوب على هذه الفطرة، قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾^[١]، والفطرة الملة، وهي الدين والإسلام والتوحيد، وهي التي خلق الناس عليها ولها وبها، ومعنى ذلك أن الله تعالى خلقهم وركبهم وصورهم على وجه يدل على أن لهم صناعاً قادراً عالماً حياً قديماً واحداً، لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء.

تنتقل السيدة الزهراء عليها السلام في تصوير القلب الى أفق رحب واسع، ليتحوّل من عضو فسلجي الى كيان قائم له ميزاته وخصائصه، فالقلب كسائر بقية أعضاء البدن قد يُجرح، إلا أن جرحه يختلف عنها، فـجرحه الذنوب وما يقترفه من معاصي، تقول عليها السلام في دعائها: «يا ساتر الأمر القبيح، ومداوي القلب الجريح، لا تفضخني في مشهد القيامة بمؤبقات الآثام»^[٢]، وقد تنافر القلوب، وتباعد بين بني البشر، يأتي العدل ليوحدها وينسّقها، تقول عليها السلام: «وجعل..العدل تنسيقاً للقلوب»^[٣]، ولعمري لا أعرف تعريفاً للعدل أحسن وأكمل من هذا التعريف، لأن تنسيق القلوب تنظيمها كتنسيق خرز السبحة وتنظيمها بالخيط، فلو انقطع الخيط تفرقت الخرز وتشتت واختل التنظيم وزال التنسيق.

وإن العدل في المجتمع بمنزلة الخيط في السبحة، فالعدل الفردي، والزوجي، والعائلي، والاجتماعي، والعدل مع الأسرة ومع الناس يكون سبباً لتنظيم القلوب وانسجامها بل واندماجها، وإذا فقد العدل فقد الانسجام، وجاء مكانه التنافر والتباعد والتقاطع، وأخيراً التقاتل، وليست العدالة من خصائص الحكام والولاة والقضاة، بل يجب على كل إنسان أن يسير ويعيش تحت ظلال العدالة، ويعاشر زوجته وعائلته وأسرته ومجتمعه بالعدالة إبقاء المحبة القلوب.

٢. اللسان: هو العضو المخصوص والمعروف، جارحة الكلام، يُجمَعُ السنةُ والسنُّ، يُدَكَّرُ ويؤنَّثُ، وقد يأتي بمعنى (اللغة)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾^[٤]، أي بلغة قومه، وقد يأتي بمعنى (الثناء،

[١] ينظر: سورة الروم: ٣٠.

[٢] مسند فاطمة الزهراء عليها السلام: ٤٠٠.

[٣] الإحتجاج: ٢٥٨/١.

[٤] سورة إبراهيم: ٤.



والذَّكَرَ الحسن)، نحو: قوله تعالى ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^[١]، أي ثناءً باقياً مدى الدهر، وقد يكون المراد به هنا، استمرار النبوة في عقبه، واستمرار دين التوحيد، وممن يدعو إليه، ولعل في ذلك إشارة إلى بعثة النبي الخاتم والرسل؛ لذا ورد عنه والرسل: «أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام»^[٢].

تقول عليها السلام: «الذات الإلهية: "الممتنع من الإبصار رؤيته، ومن الألسن صفة"»^[٣]، فالله تعالى ليس بجسم، ولا جوهر ولا عرض، والعين لا تدرك ولا ترى إلا الأجسام والأعراض، وهي الأمور التي تعرض للجسم، كالألوان والطول والعرض وما شابه ذلك، إذ أن الإدراك بالبصر إنما يتحقق بانعكاس صورة المرئي في عدسة العين، أو اتصال أشعة العين إلى ذلك الشيء المرئي، وأن الله تعالى ليس بجسم فلا يمكن انعكاسه في العين، ولهذا من المستحيل أن تدركه العيون ولا يمكن لأي موجود أن يرى الله تعالى ويدركه بالعين، مثلما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^[٤]، وليس هذا الامتناع خاصاً بالرؤية، بل بجميع الحواس الظاهرة كالسامعة والشامّة والذائقة واللامّة.

ومن المؤسف جداً أن بعض طوائف المسلمين يعتقدون أن الله تعالى جسم، ويصرحون بهذا الاعتقاد الفاسد الساقط عبر الإذاعات، رافعين أصواتهم: أن الله ينزل إلى سماء الدنيا وهو راكب على حمار!!.

وليس هذا ببعيد من طائفة أصول دينهم وفروعه محمول على أكتاف رجل يصفونه بالكذب، والتزوير، والتلاعب، واختلاق الروايات وإسنادها إلى رسول الله وغيره، ويكتبون أن عمر بن الخطاب ضربه بالدرّة ومنعه عن الحديث لكثرة الأكاذيب التي كان يختلقها ويصوغها في بوتقة الدجل والتزوير^[٥].

والقرآن الكريم يقول: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^[٦]، والجهال يقولون: تدركه

[١] سورة الشعراء: ٨٤.

[٢] الميزان في تفسير القرآن: ٢٦٨/١٥.

[٣] الإحتجاج: ٢٥٥/١.

[٤] سورة الأنعام: ١٠٣.

[٥] ينظر: نظريات الخليفتين، نجاح الطائي: ١٠/٢.

[٦] سورة الأنعام: ١٠٣.

الأبصار، يتركون كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويأخذون بقول مخلوق إن لم نقل إنه كذاب فهو جاهل يخطئ ويصيب.

وإذا كان بعض المسلمين يجهلون أو ينحرفون عن التوحيد الذي هو أصل الدين فكيف بالنبوة، والإمامة، والمعاد؟، وكيف بفروع الدين، والأحكام الفقهية، والأمور الدينية، والقضايا الشرعية؟.

كما لا يمكن وصف الله تعالى، فلا يمكن رؤيته، وكيف يستطيع الإنسان أن يصف شيئاً لم يره، ولم يحط به إحاطة، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود»^[١]؛ لأن صفاته عين ذاته، فكما إنه لا يمكن إدراك ذاته، كذلك لا يمكن إدراك صفاته التي هي عين ذاته.

فالصفات الحاصلة للذات الإلهية المقدسة إما أن تكون صفة ذات أو صفة فعل، وكلا الصفتين لا تنالهما الألسن؛ لقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه: «وكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ الْمُوصُوفِ، وَشَهَادَةُ كُلِّ مُوصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ الصِّفَةِ: فَمَنْ وَصَفَ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَاهُ، وَمَنْ ثَنَاهُ فَقَدْ جَزَّاهُ، وَمَنْ جَزَّاهُ فَقَدْ جَهَلَهُ...»^[٢].

٣. القَدَمُ: تقولُ عليه السلام في حال المشركين في الجاهلية ومذلتهم: «وَمَوْطِيءُ الأَقْدَامِ»^[٣]، والوطيء، الدَّوسُ، ووطيء الشيء، داسه^[٤]، وهو كناية على المذلة والخضوع والتقهر.

و(الأخمص) في قولها عليه السلام مادحة أمير المؤمنين عليه السلام: «فلا ينكفي حتى يطاء صماخها بأخمصه»^[٥] باطن القدم وما رق من أسفلها الذي لا يلصق بالأرض^[٦]، والمقصود ب(الصماخ) خرق الأذن، أو الأذن نفسها^[٧]، والمقصود أنه عليه السلام لا

[١] نهج البلاغة: ١٤.

[٢] نهج البلاغة: ٣٩.

[٣] الإحتجاج: ٢٦٠/١.

[٤] ينظر: لسان العرب، مادة (وطأ): ٣٧٣/١٥.

[٥] الإحتجاج: ٢٦٢/١.

[٦] ينظر: لسان العرب، مادة (خمص): ٢٥٢/٤.

[٧] ينظر: الصحاح، مادة (صمخ): ٦٣٤.



يرجع من ساحة الحرب حتى يهزم العدو، ويدوسُ بقدمه هامتهم، وهو كناية عن الغلبة والقهر، وذكرُ (الصَّمَاخ) هنا، من باب ذكر الجزء وإرادة الكلِّ، أو أنها عَلَيْهَا عَنَتْ، أَنَّ لِلْحَرْبِ صَوْتًا مَدْوِيًّا، ووقعا تَهَابُهُ النَّفُوسُ الضَّعِيفَةُ، فَأَحْمَدُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا الصوت؛ بأن ضرب على أذنه، فَحَمَدَ ونام، ومنه قوله تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾^[١١]، أي أنماهم، فكان أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يرجع من جبهة القتال حتى يسحق رؤوس الأعداء، ويدوس هامات الرؤساء بباطن قدمه كالمصارع الذي ينزل إلى ساحة المصارعة، فإذا تغلب على خصمه وصرعه، فلا بد من أن يلصق المصارع ظهر خصمه أو رأسه على الأرض ليثبت أنه أنهى المصارعة بأوفى صورة.

كذلك كان علي عَلَيْهِ السَّلَامُ يهرول نحو الأعداء لا يعرف معنى الخوف، وكأنه مستमित وكأن غريزة الحياة قد سلبت عنه، وييده صحيفة يقطر منها الموت، تراها راحة ساجدة على الرؤوس، والخواصر، وكان يقدر الأبدان نصفين طولاً أو عرضاً، ويفري ويكسر ويهشم في طرفة عين، وقبل أن تنفجر الدماء من العروق كانت العملية قد انتهت.

٤. اللَّهَاءُ: لحمَةٌ حَمْرَاءُ فِي الْحُنْكَ مُعَلَّقَةٌ عَلَى عَكَدَةِ اللِّسَانِ، وَهِيَ الْهِنَّةُ الْمُطْبَقَةُ فِي أَفْصَى سَقْفِ الْفَمِ^[١٢]، تقولُ عَلَيْهَا في رسول الله ﷺ وقت الحرب: «قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا»^[١٣]، وهو كناية عن اقتحام أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ للحرب والمهالك.

٥. الظُّهْرُ: خلاف البطن، وجمعها أَظْهَرُ وظُهُورٌ وظُهُرَانٌ^[١٤]، تقولُ عَلَيْهَا مخاطبة القوم: «أَفْعَلِي عَمَدَ تَرَكْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ، وَبَدَنْتُمُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾^[١٥]؟!»، وهو كناية عن نسيانهم أو تناسيهم إياه، وقد تأتي بمعنى الإقامة، فالسيدة الزهراء عَلَيْهَا كأنها تقول: هذا كتاب الله وهو القرآن

[١] سورة الكهف: ١١.

[٢] ينظر: الصحاح، مادة (لها): ١٠٢١.

[٣] الإحتجاج: ٢٦٢/١.

[٤] ينظر: لسان العرب، مادة (ظهر): ٣١٢/٨.

[٥] سورة النمل: ١٦.

[٦] الإحتجاج: ٢٦٧/١.

المجيد موجوداً عندكم وبين أيديكم فلماذا تركتم العمل به وهو حجة عليكم وطرحتموه وراءكم، إذ يبين بيان الشمس الضاحية أن محمداً ﷺ هو رسول الله وأنا ابتته، كما يبين أن سليمان ورث داوود وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ أليس هذا تصريحاً بقانون التوارث والوراثة بين الأنبياء؟ أما كان سليمان وابنه داوود من الأنبياء؟ فلماذا منعتم أرث أبي عني؟.

فالسيدة الزهراء عليها السلام فهتت من الآية الشريفة أن معنى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ هو إرث المال، وهكذا فهم أبو بكر، وجميع المسلمين الحاضرين يومذاك، وهم يستمعون إلى كلام السيدة عليها السلام هؤلاء كلهم قد فهموا أن المقصود من الإرث في هذه الآية هو إرث المال، ومعنى ذلك أن سليمان ورث أموال أبيه داود، ولم يفهموا غير هذا^[١].

وهكذا الكلام في قوله تعاليفيما اقتص من خبر زكريا: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَكِيلًا يَرْثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^[٢]، فإن زكرياء عليه السلام سأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يرثه المال.

ولكن بعد قرون عديدة جاء المدافعون عن السلطة، فقالوا: في تفسير الآيتين: ورث سليمان داود العلم لا المال، وهكذا: ولياً يرثني العلم لا المال، وهم يقصدون بهذا التفسير تأييد الذين حرموا السيدة فاطمة من ميراث أبيها الرسول.

ولا بأس أن نتحدث بما تيسر حول الآيتين لعلنا نصل إلى نتيجة مطلوبة:

أولاً: لفظ الإرث والميراث يستعمل شرعاً وعرفاً ولغة في المال، فإذا قلنا: فلان وارث فلان فالظاهر أنه وارثه في المال، لا أنه وارثه في العلم أو المعرفة، إلا إذا كانت هناك قرينة أي دليل يدل على إرث العلم والمعرفة كقوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾^[٣]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾^[٤]، فأما قوله: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾، فالمقصود إرث المال لا إرث العلم والمالك وما شابه، لأن سليمان كان نبياً في حياة أبيه داود، كما قال تعاليفي

[١] ينظر: فاطمة من المهدي إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني: ٢٦٥.

[٢] سورة مريم: ٥٦.

[٣] سورة غافر: ٥٣.

[٤] سورة فاطر: ٣٢.



قصة الزرع الذي نقشت فيه غنم القوم ﴿ فَفَهَمَتَهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا وَاللَّيْنَا حُكْمًا وَعَلَمًا ﴾^[١]، و"روي أن سليمان غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس، وقيل: ورثها من أبيه، وأصابها أبوه من العمالقة، وقال البيضاوي: وقيل أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها .. الخ"^[٢].

فسليمان ورث أباه داود تلك الخيول والأفراس، وورثه غيرها من التركة والأموال التي تركها داود، وبهذين القولين ثبت أن سليمان لم يرث العلم والنبوة من أبيه داود؛ لأن سليمان كان نبياً في زمان أبيه داود كما كان هارون نبياً في زمان أخيه موسى بن عمران وثبت أيضاً أن سليمان ورث أباه داود المال.

وأما ما يتعلق بدعاء زكريا ربه: ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثَنِي ﴾، فقد قال بعض الشواذ يرثني نبوتي، فهو يريد نفي الوراثة عن الأنبياء، ولكن الآية الكريمة بنفسها تكشف الحقيقة عن مراد زكريا، فقوله: ﴿ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾^[٣] يدل على أنه ليس المقصود إرث النبوة لأنه يكون المعنى أن زكريا سأل ربه أن يهب له ولياً يرثه النبوة ويكون ذلك الولي مرضياً عند الله، وهذا كقول القائل: اللهم ابعث لنا نبياً واجعله عاقلاً مرضياً في أخلاقه، وهذا لغو وعبث، ولا يستحسن من زكريا أن يسأل ربه أن يجعل ذلك النبي رضيعاً أي مرضياً في أخلاقه، لأن النبوة أعظم من هذه الصفات، هذه الصفات تندرج تحت النبوة، وقد قال فخر الدين الرازي: «إن المراد بالميراث وجميع في الموضوعين (الآيتين) هو وراثته المال»^[٤].

فتبين أن المقصود من الوراثة في آية سليمان بن داود وآية زكريا هو وراثته المال والنتيجة أن الوراثة كانت بين الأنبياء.

نحو: قولها **إِيَّاكَ**: «وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ»^[٥]، أي مقيم بينكم، ومحفوظ من جميع جوانبه بكم.

6. **الْحَشَا**: هو ما دون الحجاب مما في البطن كُله من الكبد والطحال

[١] سورة الأنبياء: ٧٩.

[٢] الكشف، الزمخشري: ١٧٩ / ٢٣.

[٣] سورة مريم: ٦.

[٤] التفسير الكبير: ٢٩٧ / ١٣.

[٥] الإحتجاج: ٢٦٥ / ١.

والكَرْشُ، وَقِيلَ: ظَاهِرُ الْبَطْنِ وَهُوَ الْحَضَنُ^[١]، تَقُولُ عَائِشَةُ: «وَنَصَبْرٌ مِنْكُمْ عَلَى مِثْلِ حَزِّ الْمُدَى، وَوِخْرُ السِّنَانِ فِي الْحَشَا»^[٢]، وَالْوِخْرُ، الطَّعْنُ غَيْرُ النَّافِذِ، عَلَى الْعَكْسِ مِنَ الْحَزِّ، وَهُوَ الْقَطْعُ.

ثَانِيًا: مَا يَتَعَلَّقُ بِأَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ:

١. النَّطْقُ: هُوَ التَّصْوِيتُ، وَصَوْتُ كُلِّ شَيْءٍ مَنطِقَهُ وَنُطْقَهُ^[٣]، وَلَفْظَةُ (النُّطْقِ) فِي تَعْبِيرِهَا عَائِشَةَ حَمَلٌ بُعْدَيْنِ مُتَضَادَيْنِ بِحَسَبِ السِّيَاقِ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ:

غَلَبَةُ الْحَقِّ وَظُهُورِهِ، تَقُولُ عَائِشَةُ: «وَنَطَقَ زَعِيمُ الدِّينِ»^[٤]، وَالزَّعِيمُ هُوَ السَيِّدُ وَالرَّئِيسُ.

صَوْتُ الْفِتْنَةِ وَالْإِنْقِلَابِ، تَقُولُ عَائِشَةُ: «وَنَطَقَ كَاظِمُ الْغَاوِينِ»^[٥]، وَالكَازِمُ هُنَا الْمَتَسَتِّرُ وَالْحَابِسُ لِمَا يُضْمِرُ مِنَ الشَّرِّ.

٢. الْخَرْسُ: ذَهَابُ الْكَلَامِ عِيًّا، أَوْ خَلْقَةً، وَجَمَلٌ أَخْرَسَ: لَا تُقْبَلُ لَشَقْشَقَتِهِ يَخْرُجُ مِنْهُ هَدِيرُهُ فَهُوَ يُرَدِّدُهُ فِيهَا^[٦]، تَقُولُ عَائِشَةُ: «وَخَرَسَتْ شَقَاشِقُ الشَّيَاطِينِ»^[٧]، أَي خَرَسَتْ أَلْسِنَةُ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، الَّذِينَ كَانَتْ أَصْوَاتُهُمْ عَالِيَةً بِوَجْهِ الدَّعْوَةِ.

٣. الشُّرْبُ: تَقُولُ عَائِشَةُ: «وَتَشْرَبُونَ حَسَوًّا فِي ارْتِغَاءٍ»^[٨]، وَالْحُسُوءُ، الْجُرْعَةُ، وَهِيَ الشُّرْبُ الْقَلِيلُ^[٩]، وَالْإِرْتِغَاءُ، شُرْبُ رَعْوَةِ اللَّبَنِ، وَفَلَانٌ احْتَسَى الرَّعْوَةَ، يُضْرَبُ مِثْلًا لِمَنْ يُظْهَرُ طَلَبُ الْقَلِيلِ وَهُوَ يُسْرُ أَخَذَ الْكَثِيرَ، وَالْمَعْنَى أَنْكُمْ طَالِبْتُمْ بِكَفِّ الْفِتْنَةِ وَدَعْوَتِهِ إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ ظَاهِرًا وَصَلَاحِ الْأُمَّةِ، وَلَكِنَّمَا كَانَتْ دَعْوَتُكُمْ فِي

[١] ينظر: لسان العرب، مادة (حشا): ٢٢٣/٣.

[٢] الإحتجاج: ٢٦٧/١.

[٣] ينظر: لسان العرب، مادة (نطق): ٢٠٧/١٤.

[٤] الإحتجاج: ٢٦٠/١.

[٥] الإحتجاج: ٢٦٤/١.

[٦] ينظر: لسان العرب، مادة (خرس): ٦٧/٤.

[٧] الإحتجاج: ٢٦٠/١.

[٨] الإحتجاج: ٢٦٦/١.

[٩] ينظر: لسان العرب، مادة (حسا): ٢١٠/٣.



الحقيقة لأنفسكم، وتثبيت مصالِحكم الشخصية لا غير.

4. التَّفكر، أو الفِكر: وَمَحَلُّهُ، العقل، وهو التأمُّل وإعمال الخاطر في الشيء^[١]، وذكر علماء الأخلاق، عدَّة مقدمات ومقامات للتفكير منها (اليقظة، والتوبة، والمحاسبة، والإنابة...)، وكيفية التفكير وحصوله، وأنَّ التفكير يقود الإنسان للإيمان؛ فهو مقدِّمةٌ لحصوله للقلب، فإذا حصل الإيمان لقلب الإنسان أثر ذلك في جوارحه^[٢]، تقولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الْإِخْلَاصَ تَأْوِيلَهَا... وَأَنَارَ فِي التَّفَكُّرِ مَعْقُولَهَا»^[٣]، والمقصود بالإنارة هنا الإضاءة ومعناه نور الهداية، ومعقول كلمة التوحيد هو «المعنى الذي يُتَعَقَّلُ منها، ولمعناها نور واضح، وبرهان لائح في الأذهان عند التَّفكر فيه؛ إذ لكلِّ حقِّ حقيقة، ولكلِّ صوابٍ نور، والمعنى أن الله تعالى قد جعل لمعنى هذه الكلمة في عالم التَّفكر المُتعلِّقُ به، نوراً به يَنورُ القلب، ويَتَّضحُ سبيلُ الحقِّ لما هو ظاهرٌ من مطابَقةٍ معناها للواقع مع جِبِلَّةِ القلوبِ على التوحيد من حيث فِطْرَتِهَا»^[٤].

5. الخَمَصُ: وهو الجوع الشديد، وخلاءُ البطنِ من الطعامِ جوعاً، والمَخْمَصَةُ: المجاعة، والخَمَصَانُ والخُمَصَانُ، الجائِعُ الضامرُ البطن، والأنثى، خَمَصَانَةٌ وخُمَصَانَةٌ، وجمْعُها، خِماصٌ؛ حملاً على إعلانِ الذي مؤنَّثه فعلى^[٥]، تقولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مخاطبةً القوم: «وَفُهِتَمَ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، فِي نَفَرٍ مِنَ الْبَيْضِ الْخِماصِ»^[٦]، والمراد بالبيض هم أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، ووصفُهُم بِالْبَيْضِ؛ لِبِياضِ وجوههم، ونقاءِ سريرتهم، وطهارةِ قلوبهم، ووصفُهُم بِالخِماصِ؛ لَضُمورِ بَطُونِهِم بِالصَوْمِ وَقَلَّةِ الأكلِ، أو لِعَفْتِهِم عن أكلِ أموالِ الناسِ بالباطل^[٧]، وممَّا يُلاحَظُ في هذا وجودُ علاقةِ التَّضادِ الحادِ بينِ الوجدتين اللغويتين (الخرس، والنطق)، وهو ما يسمَّى منطقياً (تقابل الملكة وعدمها)، فلا يجتمعان معاً، ويصح ان يرتفعا فيمن ليس من شأنه النُّطق، كالحجر مثلاً.

[١] ينظر: لسان العرب، مادة (فكر): ٣٤٠/١٠.

[٢] ينظر: التربية الروحية، كمال الحيدري: ٢٠٩.

[٣] الإحتجاج: ٢٥٥/١.

[٤] ينظر: اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٣٨٥.

[٥] ينظر: لسان العرب، مادة (خمص): ٢٥٢/٤.

[٦] الإحتجاج: ٢٦٠/١.

[٧] ينظر: الزهراء وخطبة فدك: ٨٠.

المحور الثاني: الحيوان، وما يتعلّق به أولاً: الحيوان:

١. الإبل: تقولُ **عَلَيْهَا** في القوم الذين أخذوا ما ليس لهم بحق: «فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم»^[١]، والوسم، أثر الكي، إذ كانوا يسمون إبل الصدقة، ليعلموها، أو كانت القبيلة تسم إبلها بوسام معروف؛ كي لا تختلط مع إبل القبائل الأخرى^[٢]، وهذا كناية عن أخذ ما ليس للقوم بحق من الخلافة والزعامة والميراث، أي أنهم عملوا ما لا يجوز لهم أن يفعلوه، وانتخبوا من ليس بأهل الانتخاب، وأعطوا مقاليد الأمور غير أهلها، وخولوا القيادة إلى غير أكفائها، فأوردوا شرباً ليس لهم، كالراعي الذي ينزل إبله في عين ماء ليست له، والمقصود أنهم أخذوا ما ليس لهم بحق من الخلافة، والمراد التصرفات الشاذة التي قام بها الناس في تعيين الخليفة، وصرف الخلافة عن أهلها وأصحابها الشرعيين؛ لأن هذه التصرفات ليست من حق الناس، بل هي من عند الله تعالى .

وقد تُعبرُ **عَلَيْهَا** عنه بـ(الفنيق) هو الفحل المكرم: «يودع ويعفى عن الركوب والعمل، ويُقتصر به على الفحلة، ويُسمى (مُصعبٌ ومُقرمٌ وفنيقٌ)»^[٣]، تقول **عَلَيْهَا** «وهدر فنيق المبطلين»^[٤]، وهدر البعير، أي ردّد الصوت، وهو كناية عن تصويت من كان خاملاً متنعمًا ساكتاً.

٢. الذئب: وهو كلب البرّ والجمع، ذئبٌ وذؤبانٌ والأُنثى ذئبة^[٥]، ولم يرد لفظ (الذئب) عند السيدة الزهراء **عَلَيْهَا** بمعناه الحقيقي، أي الحيوان المفترس، وإنما أطلقته **عَلَيْهَا** على لصوص العرب وصعاليكهم الذين يتلصصون ويتصعلكون، تقول **عَلَيْهَا** مخاطبة القوم: «فأنقذكم الله تبارك وتعالى بعد اللتيا والنبي، وبعد أن مني بهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب»^[٦]، وتقول في نص آخر **عَلَيْهَا**

[١] الإحتجاج: ٢٦٥/١.

[٢] ينظر: لسان العرب، مادة (وسم): ٣٣٨/١٥.

[٣] فقه اللغة وسر العربية: ١٩٨.

[٤] الإحتجاج: ٢٦٤/١.

[٥] ينظر: لسان العرب، مادة (ذأب): ١٤/٥.

[٦] الإحتجاج: ٢٦٢/١.



مخاطبة أمير المؤمنين عليه السلام «افترست الذئب وافترشت التراب»^[١]، ويظهر هنا جمال الصورة الفنية؛ وروعة التشكيل الصوري، إذ تستعير صورة الذئب وهي صورة تطلق على الحُبث والدَّهَاء، للمشركين والكفار، وتصور مجاهدة بعلها عليه السلام إياهم بالافتراس، فهو أسد الله، وفيها دلالة على القوة والشجاعة والاستبسال، لتأتي بصورة ثانية هي على النقيض من الأولى تماماً (افتراس التراب) وهي كناية عن القعود عن طلب الخلافة.

٣. الفَاغْرَةُ: فَعَرَ فَاه، فَتَحَهُ وَشَحَاه، فهو واسعٌ، وسميت بذلك الأفعى؛ لعظم فمها وسعته^[٢]، تقول عليه السلام في استبسال علي عليه السلام في الذب عن الاسلام ورسوله «أَوْ فَعَرْتَ فَاغْرَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قَذَفَ أَخَاهُ فِي لَهَوَاتِهَا»^[٣]، وهنا تشبيه للمُشْرِكِينَ بالأفعى الفاتحة فمها؛ لتنفص على الاسلام؛ لتستأصله.

٤. الأَجْدَلُ: وهو الصَّقْر، صفة غالبية، وأصله من (الجَدَل) الذي هو الشدة والقوة^[٤]، تقول عليه السلام مخاطبة الامام علي عليه السلام: «نَقَضْتَ قَادِمَةَ الأَجْدَلِ، فَخَانَكَ رِيْشُ الأَعْوَلِ»^[٥]، قوادم الطير: مَقَادِيم ريشه ضدَّ الخَوَافِي، وهي عَشْرٌ فِي كُلِّ جَنَاحٍ^[٦]، وهنا تشبيهان: الأول للقوة وهو (الأجدل) وألته (القوادم)، والثاني للضعف وهو (الأعزل) وألته (الريش)، فيتكون عندنا عِدَّة معانٍ^[٧]:

❖ كنت أجدل، فصرت أعزل، وكنت ذا قوادم فنقضتها، ثم أردت النهوض بالريش الذي لا يقوى على ذلك فخانك، فقد يكون المراد بنقض القوادم هنا، قعوده عليه السلام عن القيام بالسيف.

❖ شهت الصقر الذي نقضت قوادمه، بمن لا سلاح له. والمعنى تركت طلب الخلافة في أول الأمر، وقبل أن يتمكنوا منها، وظننت أن الناس لا يرون

[١] الإحتجاج: ٢٨١/١.

[٢] ينظر: لسان العرب، مادة (فغر): ٣٢٦/١٠.

[٣] الإحتجاج: ٢٦٢/١.

[٤] ينظر: لسان العرب، مادة (جدل): ٢٤٧/٢.

[٥] الإحتجاج: ٢٨٠/١.

[٦] ينظر: لسان العرب، مادة (قجم): ٦٨/١١.

[٧] ينظر: الزَّهْرَاءُ عليها السلام وخطبة وفدك: ١٤٣.

غيرك أهلاً للخلافة، ولا يُقدِّمون عليك أحداً، فكُنْتَ كَمَنْ يَتَوَقَّع الطَّيْرَانِ مِنْ صَقْرٍ منقوضة القوادِم.

❁ أَنْكَ نازلت الأبطال ولم تُبال بكثرة الرجال، حتى نقضت شوكتهم، واليوم غلبت من هؤلاء الأراذل الضعفاء.

5. البُهْمُ: كلُّ ذات أربع قوادِم من دوابِّ البرِّ والماء^[١]، تقول عَيْلًا في وصف المشركين في الجاهليَّة وابتلاء النَّبي ﷺ بهم: «وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهْمِ الرِّجَالِ»^[٢]، فكلُّ حيٍّ لا يميِّزُ فهو بهيمة، وأبهمتُ البابَ، أغلقتُه، وقد يكون مفرد (بُهْم) البُهْمَة، وهو الفارس الذي لا يُدرى من أين يُؤتي؛ من شدَّة بأسه^[٣]، وعلى كلا المعنيين، فالمراد ابتلاء الرِّسول ﷺ بأقوام أشداء معاندين، تميزوا بالخشونة الصَّحراويَّة وإلى جانب ذلك، فهم منغلِقون على معتقداتهم، من الصَّعب إتيانهم فيها. وتقول عَيْلًا في المعنى نفسه واصفة الأنصار: «وَنَاطَحْتُمُ الأُمَّمَ، وَكَافَحْتُمُ البُهْمَ»^[٤]، ثمَّ إِنَّهَا عَيْلًا تُشَبِّه عمى القلوب وعد ادراكها للحقائق ب(البُهْم)، إذ تقول عَيْلًا: «وكشَفَ عن القلوب بُهْمَهَا»^[٥].

ثَانِيًا: مَا يَتَعَلَّقُ بِالْحَيَوَانَ:

١. الخَطَامُ والرَّحْلُ: تقول عَيْلًا مخاطبةً أبا بكر: «فَدُونَكهَا مَخْطُومَةٌ مَرْحُولَةٌ تَلْقَاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنَعْمَ الحَكْمُ اللهُ والزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ»^[٦]، فالخطامُ: ما يدخل في أنف البعير ليُقَاد وهو زمامه؛ وسمِّي بذلك؛ لأنَّه يقع على خَطْم الدَّابة، أي مُقَدِّم أنفها وفمها^[٧]، والرَّحْلُ: رَحْلُ البعير، وهو أصغر من القَتَب، وهو للناقة كالسرج للفرس^[٨]، والمعنى أَنَّهَا عَيْلًا شَبَّهت فداك المأخوذة عنوةً، بالناقة المُقَادَة

[١] ينظر: لسان العرب، مادة (بهم): ٦٤٣/١.

[٢] الإحتجاج: ٢٦٢/١.

[٣] ينظر: الصحاح، مادة (بهم): ١١٠.

[٤] الإحتجاج: ٢٧١/١.

[٥] الإحتجاج: ٢٥٧/١.

[٦] الإحتجاج: ٢٦٨/١.

[٧] ينظر: الصحاح، مادة (خطم): ٣١٦.

[٨] ينظر: الصحاح، مادة (رحل): ٤١٥.



المطواعة، وفي ذلك تهكّم واستنكار للفعل؛ فأمر فذك صعبٌ مستصعبٌ وعسيرٌ يوم القيامة، فقبل هذا النص الشريف كان الخطاب عاماً لجميع المسلمين الحاضرين في المسجد، وهنا وجهت خطابها إلى رئيس الدولة وحده، وقالت: (فدونكها): أي خذها، خذ فذك وشبهت فذك بالناقة التي عليها رحلها وخطامها، والرحل للناقة كالسرج للفرس والخطام الزمام، والمقصود خذ فذك جاهزة مهيأة، وفي هذا الكلام تهديد، وهذا كما يقال للمعتدي: افعل ما شئت، وانهب ما شئت هنيئاً مريئاً، ولهذا أردفت كلامها بقولها **عَلَيْكَ**: تلقاك يوم حشرِك: إشارة إلى أن الإنسان يرى أعماله يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾^[١]، فنعلم الحكم الله، ففي ذلك اليوم الحكم الله الواحد القهار، الذي لا يخفى عليه شيء من مظالم العباد، والزعيم محمد **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** المحامي الذي يخاصمك هو سيد الأنبياء، وهو أبي، يطالبك بحق ابنته فاطمة.

٢. الدِّبْرَةُ: قَرْحَةُ الدَّابَّةِ والبَعِيرِ والجمع، دَبْرٌ وأدْبَارٌ^[٢]، تقولُ **عَلَيْكَ**: «فَدُونَكُمْوَهَا فَاحْتَقِبُوهَا دَبْرَةَ الظَّهْرِ، نَقْبَةَ الخَفِّ»^[٣]، والمعنى، خذوا عملكم وأوزاركم واحملوها على ظهوركم المتقرحة بهذا الفعل.

المحور الثالث: النَّبَاتُ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ:

لم يرد عن الزهراء **عَلَيْهَا السَّلَامُ** ذكر لأسماء النباتات والأشجار إلا في مواضع نادرة ومحدودة الألفاظ، فمن ذلك:

١. الشَّجْرُ: وهو ما قام على ساق، وسما بنفسه، والشَّجْرَاءُ: منبت الشَّجَرِ وكثيرة^[٤]، تقولُ **عَلَيْكَ**: «الحَمْدُ لله... خَالِقِ الشَّجَرِ»^[٥]، وما من قَطْرَةٍ مَطَرٍ أو ورقة شجرٍ إلا والله تعالى مُحْصِيهَا، تقولُ **عَلَيْكَ**: «تَبَارَكَتْ يَا مُحْصِي قَطْرِ المَطَرِ، وورقِ الشَّجَرِ»^[٦]، وتشيرُ **عَلَيْكَ** إلى حالة المشركين في الجاهلية وقرهم وذلتهم، بأنهم

[١] سورة الكهف: ٤٩.

[٢] ينظر: لسان العرب، مادة (بهم): ٦٤٣/١.

[٣] الإحتجاج: ٢٧٤/١.

[٤] ينظر: لسان العرب، مادة (شجر): ٣٤/٧.

[٥] مسند فاطمة الزهراء **عَلَيْهَا السَّلَامُ**: ٤٠٩.

[٦] مسند فاطمة الزهراء **عَلَيْهَا السَّلَامُ**: ٤٠٦.

كانوا يقتاتون ورقَ الشَّجَرِ، تقولُ **عَلَيْكَ**: «وتَقْتَاتُونَ الْوَرَقَ»^[١]، وقد يكون المقصود بالورق، ورَقَة (الورقاء)، وهي شُجَيْرَةٌ تسمو فوق القامة، لها ورقٌ مُدَوَّرٌ واسعٌ دقيقٌ ناعمٌ تأكله الماشية، وهي غبراء الساق، خضراء الورق^[٢].

٢. الضَّرَاءُ: وهو الشَّجَرُ المُلْتَفُّ في الوادي، وقد يُطْلَقُ على ما وُريَ من الشَّجَرِ وغيره^[٣]، تقولُ **عَلَيْكَ**: «وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء»^[٤]، والمراد بالشَّجَرِ المُلْتَفِّ هنا، كناية عن المكر والحديعة، يقال للرجل إذا ختل صاحبه ومكر به: هو يدبُّ له الضراء، ويمشي له الخمر، ومكانٌ خمرٌ، إذا كان يغطي كلَّ شيءٍ ويواريه^[٥]؛ ولذا سُميت الخمرة خمرًا؛ لأنها تُعطي العقل وتستره وتذهبُ به.

[١] الإحتجاج: ٢٦١/١.

[٢] ينظر: لسان العرب، مادة (ورق): ٣١١/١٥.

[٣] ينظر: لسان العرب، مادة (ضرا) ٦٤/٨، ويُقال: ما وارك من أرضٍ فهو الضراء، وما وارك من شَجَرٍ فهو الخمر.

[٤] الإحتجاج: ٢٦٦/١.

[٥] ينظر: لسان العرب، مادة (ضرا) ٦٤/٨.



الخاتمة ونتائج البحث

بعد أن استنشقنا عبق النبوة، ورفلنا بعطر خمائل السيدة الزهراء عليها السلام، ونهلنا من غدورها العذب الفرات، وسرنا في جنان كلماتها النورانية، وصل بنا الخطى الى نهاية المطاف، وأن لنا أن نقتطف الثمار لنسطرها بكلمات توجز كلام ما أفضناه، وتُجمل حديث ما ابتدأناه، فأقول:

١. دلالة ألفاظ الطبيعة في التعبير الفاطمي اتصفت بمرونتها، لما لها من ظلال إيحائية توشحت بها وأعطتها قيماً إضافية، فهذه الدلالات في ألفاظ الطبيعة في التعبير الفاطمي التقت مع بنيتها الصوتية في تصوير المشاهد بدقة متناهية،

٢. ألفاظ الطبيعة المتعلقة بالطبيعة الحية جاءت تحاكي أحداثاً سبقت في معرض العبرة للإنسان، فجاءت بها السيدة الزهراء عليها السلام بأسلوب يراد منه حث المؤمنين على الهداية، وانذار المخالفين لوصية أبيها المصطفى محمد عليه السلام، والغاصبين لحقها، وحق بعلمها، فضلاً عن المنافقين، وتوبيخهم،

٣. ألفاظ الطبيعة بشقيها الجامدة، والحية أخذت حيزاً ليس بالقليل في التعبير الفاطمي، فهي زخرت بقيم دلالية متنوعة، وأشربها التعبير الفاطمي عواطف وأحاسيس نبعت من البعد الفني، وطبيعة التعبير الفاطمي.

٤. يُعدُّ خطاب السيدة الزهراء عليها السلام ثروة علمية وفكرية؛ لما تضمَّنه من مضامين عميقة في مجال فلسفة الدين وعلل شرائع الأحكام، ومبادئ الإمامة، وفلسفة التعاليم الأخلاقية، والفكر السياسي الإسلامي.

٥. دقة السيدة الزهراء عليها السلام في رسم الصور عبر تشكلات صورية مختلفة كالاستعارة والكناية والمجاز؛ إذ تخلق هذه السمة التصويرية التفاعل والانسجام بين المتلقي والخطاب الملقى، وجذب انتباهه، وجعله يدور في فلك التخيل والتأمل أكثر من غيرها.

٦. تميَّز خطابها بفصاحة الألفاظ وجزالتها، ودقة عمقها الدلالي، وجمالية انتقائها للألفاظ ووضعها في موضعها.

المَصَادِرُ وَالْمَرَاجِعُ

أولاً: الكُتُبُ

١. القرآن الكريم
٢. أبنية الصرف في كتاب سيبويه، الدكتورة خديجة الحديثي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.
٣. الإحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي من اعلام القرن السادس الهجري (ت ٥٦٠هـ)، بتحقيق الشيخ إبراهيم البهادري، والشيخ محمد هادي به، بأشراف العلامة الشيخ جعفر السبحاني، دار الاسوة للطباعة والنشر، قم المقدّسة، ط ٤، ١٤٢٤هـ.
٤. أساس البلاغة، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٥. أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، (د.ت).
٦. ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم دراسة لغوية، خولة عبيد خلف الدليمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٨م.
٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الاطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي (ت ١١١١هـ)، تحقيق وتعليق لفيف من العلماء، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
٨. تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، مؤسسة الكويت للتقدّم العلمي، الكويت، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٩. تاريخ الأحمدى، الأمير أحمد حسين بهادر خان الهندي (ت ١٣٥٠هـ)، تحقيق محمد سعيد الطريحي، مركز الدراسات والبحوث العلمية، لبنان - بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٠. تاريخية المعرفة منذ الاغريق حتى ابن رشد، مجيد محمود مطلب، دار الجاحظ، بغداد - العراق، الطبعة الأولى، ١٩٧٢م.
١١. التربية الروحية بحوث في جهاد النفس، كمال الحيدري، مؤسسة الإمام الجواد للفكر والثقافة، قم - إيران، ط ٢٠، ٢٠١٢م.



١٢. تطور الشعر العربي الحديث في العراق، علي عباس علوان، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد - العراق، (د.ت).
١٣. التعريفات، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٤. التوحيد.. بحوث في مراتبه ومعطياته، تقريراً لدروس السيد كمال الحيدري، جواد علي كسار، دار فراقد للطباعة والنشر، إيران، ط ٣، ١٤٢٤هـ.
١٥. حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام، باقر شريف القرشي، دار الذخائر الإسلامية، قم إيران، ط ١، ١٤٢٧هـ.
١٦. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، لبنان، د.ت.
١٧. الدرّ المنثور في التفسير المأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١)، دار الفكر للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٨٣م.
١٨. الزهراء وخطبة فذك، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، تعليق الشيخ محمد تقي شريعتمداري، دار كلستان كوثر للنشر طهران ايران ط ١ ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٩. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار الامير بيروت، ط ٤/٢٠٠٧
٢٠. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، ترتيب وتصحيح إبراهيم شمس الدين، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٢١. الطبيعة وما بعد الطبيعة، الدكتور يوسف كرم، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط ١، ١٩٥٩م.
٢٢. عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني (ت ٦٨٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
٢٣. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٢٤. فاطمة من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٢٥. الفروق اللغوية وأثرها في تفسير القرآن الكريم، د. محمد بن عبد الرحمن بن صالح

- الشايح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
٢٦. فقه اللغة وسر العربية ، أبو منصور عبدالملك الثعالبي (ت ٤٣٠هـ) ، حققه حمدو طمّاس، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
٢٧. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
٢٨. لسان العرب، جمال الدين أبو عبدالله محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.
٢٩. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، المولى محمد علي بن أحمد القراجه داغي التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ)، تحقيق هاشم الميلاني، دار التبليغ الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
٣٠. مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي ، تحقيق : احمد الحسيني ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.
٣١. مسند فاطمة الزهراء عليها السلام، جمعه العلامة السيد حسين شيخ الاسلامي التويسركاني، راجعه وعلّق عليه السيد محمد جواد الحسيني الجاللي، دار الصفوة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٣٢. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٩م.
٣٣. المعجم الاوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله وعبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د.ط، ١٤١٥هـ.
٣٤. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الطبعة الاولى، ١٩٧٩م.
٣٥. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
٣٦. معجم المصنفين، محمود حسن التونكي، طبع في دولة السلطان ملك التركن، حماة، بيروت، سوريا، ١٣٤٤هـ.
٣٧. المعجم الوسيط ، مجموعة مؤلفين ، مجمع اللغة العربية ، الادارة العامة للمعجمات و احياء التراث، مكتبة الشرق الدولية ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.



٣٨. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ت.
٣٩. المنصف في شرح كتاب التصريف، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله امين، دار احياء التراث القديم، ط ١، ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.
٤٠. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
٤١. نظريات الخليفتين، نجاح الطائي، مؤسسة آل البيت عليه السلام لأحياء التراث.
٤٢. نهج البلاغة، الشيخ محمد عبده، تحقيق: فاتن محمد خليل، مؤسسة التاريخ العربي بيروت، ط ١، ٢٠٠٦.
٤٣. الهداية الكبرى، ابو عبدالله الحسين بن حمدان الخُصبي (ت ٣٣٤هـ)، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ثانياً: البحوث

٤٤. المثال في خطاب الزهراء عليها السلام، د. عباس علي الفحام، بحث غير منشور ألقى في المؤتمر الدولي حول شخصية السيدة الزهراء عليها السلام، في جامعة الكوفة، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.



